جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

كلية الدراسات العليا

ترجمة الصفحات من (104 إلى 154) من كتاب" ا نــا مــا لا لا"لمؤلفه :

مالالا يوسف زاي مع كريستينا لامب

A Translation of the pages from (104 - 154) from the book Entitled “I AM MALALA” by Malala Yousaf Zai with Christina Lamb

بحث تكميلي لنيل درجة ماجستير الآداب في الترجمة

إعداد الدارس :

أبو الحسين خميس علي مرفعين

إشراف الدكتور:

تاج السر بعشوم

2015

بسم الله الرحمن الرحيم

Sudan University of Science & Technology

College of Graduate Studies

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

كلية الدراسات العليا

كلية الدراسات العليا

صفحة الموافقة

اسم الباحث : أبو الحسن خميس علي مرتضى

عنوان البحث : ترجمة الصفحات من ١٠٤ - ١٥٤ من كتاب أنا ملالا الفتاة التي ناضلت من أجل التعليم وأطلقت عليها حركة طالبان النار، ترجمة يوسف وائل مع كريستينا لامب

I am Malala : The Girl who stood up for Education and was shot by Taliban

موافق عليه من قبل :

الممتحن الخارجي

الاسم: د/ أحمد مختار المرضي

التوقيع: .... التاريخ: ١٢/٨/٢٠١٥م

الممتحن الداخلي

الاسم: د/ محمود علي أحمد

التوقيع: .... التاريخ: ١٢/٨/٢٠١٥م

المشرف

الاسم: د/ تاج السر حسن بشير

التوقيع: .... التاريخ: ١٢/٨/٢٠١٥م

ص.ب 407 فاكس/ 83 769363 البريد الالكتروني cgs @ sustech edu.

Sudan University of Science and Technology
College of Graduate Studies

Declaration

I, the signing here-under, declare that I'm the sole author of the (M.Sc.) thesis entitled "I AM MALALA" by Malala Yousaf Zai with Christina Lamb - a translation of Pages from (104-154)

which is an original intellectual work. Willingly, I assign the copy-right of this work to the College of Graduate Studies (CGS), Sudan University of Science & Technology (SUST). Accordingly, SUST has all the rights to publish this work for scientific purposes.

Candidate's name: Abuelhussein Khamis Ali Morfain

Candidate's signature: ابوالحسين **Date:** 8/9/2015

إقرار

أنا الموقع ادناه أقر بانني المؤلف الوحيد لرسالة الماجستير المعنونة ترجمة" الصفحات من (١٠٤ - ١٥٤) من كتاب "أنا مالالا" لمؤلفه مالالا يوسف زاي مع كريستينا لامب

وهى منتج فكري أصيل . وباختياري اعطى حقوق طبع ونشر هذا العمل لكلية الدراسات العليا - جامعه السودان للعلوم والتكنولوجيا، عليه يحق للجامعه نشر هذا العمل للأغراض العلمية .

اسم الدارس : أبوالحسين خميس علي مرفعين

توقيع الدارس : ابوالحسين التاريخ : ٨/٩/٢٠١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2)
اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الإِنسَانَ
مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)

الآيات (1-5)

سورة العلق

العلم يرفع بيتاً لا عماد له والجهل يهدم بيت العز والشرف

(أبو العلا المعري)

إهـــــــــداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أبي وأمي اللذين كانا خير معين لي في مسيرتي التعليمية ..وإلى زوجتي وأبنائي الذين كان لهم الأثر الكبير في إكمالي لهذه الدراسة وإلى كل من علمني حرفا وكل من ساعدني للسير قدما .

شـكـــــــــر وتقدير

أتوجه بالشكر الجزيل لكل من ساهم في إخراج ترجمة هذا الكتاب الى حيز الوجود وأخص بالشكر إدارة جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا لإتاحتهم لنا هذه الفرصة لمواصلة دراساتنا العليا في دولة الإمارات العربية المتحدة وأخص بالشكر الدكتور/ تاج السر بعشوم الذي أشرف على هذا البحث وكذلك لهيئة تدريس برنامج الماجستير بكلية اللغات والترجمة الذين لم يبخلوا علينا بعلمهم ومعرفتهم لأجل صقل تجربتنا في مجال الترجمة وعلى تعاونهم وتوجيهاتهم التي كان لها الأثر الكبير في نفوسنا، وأخص بالشكر كذلك زملاء الدراسة الأخ / أحمد التجاني الذي يعود له الفضل بعد الله تعالى في إنجاح هذا البرنامج وكذلك الأخ / أسامة المرضي والأخ/ بشير عثمان بشير والأخ/ هاشم أبو القاسم والأخ/ آدم الرضي على التعاون في ترجمة هذا الكتاب وعلى النقاشات البناءة التي كان لها الأثر الكبير في خروج هذا العمل المتواضع إلى النور. ولابد كذلك أن أشكر زملائي المترجمين في مديرية شرطة العاصمة – أبوظبي، الذين مدوا لي يد العون بشتى الوسائل في سبيل إخراج هذه المادة وكذلك المترجمين الشفويين من قومية "البشتون" الذين ساعدوني في فهم بعض المصطلحات وبتعريفي بعادات وتقاليد البشتون ..

مستخلص الكتاب

تروي المؤلفة في **الجزء العاشر** تحت عنوان (السكاكر وكرات التنس وتماثيل بوذا في سوات) من هذا الكتاب الذي قام الدارس بترجمة جزء منه – (من الصفحة 104 إلى الصفحة 154) كيفية استيلاء الطالبان على وادى سوات, وتحدثت بالتفصيل عن رجل الدين مولانا فضل الله الذي أطلق محطة إذاعية غير قانونية ودوره في نشر فكر طالبان عن طريق مهاجمة تعليم المرأة وتشجيع البنات على عدم الذهاب الى المدارس وإشعال طالبان النار في أشرطة (الدي في دي) وأشرطة الفيديو ، وعن الأحداث الدامية التي شهدها المسجد الأحمر، وتناولت كذلك عودة بينظير بوتو من المنفى وعملية إغتيالها ، وألقت الضوء على القوات التي تم إرسالها من قبل مشرف إلى وادي سوات لمحاربة طالبان.

أما **الجزء الحادي عشر** والذي يحمل عنوان "الصف الدراسي الذكي" تتحدث الكاتبة فيه عن مدرسة مالالا وعن المشاكل التي تواجه الفتيات في ظل نظام طالبان عند ذهابهن إلى المدرسة ، وعن العمليات العسكرية التي تشنها قوات الجيش على طالبان وكذلك عن التفجيرات التي طالت المدارس من قبل طالبان، ووصفت أيضا كيفية استهداف طالبان للمواطنين وقتلهم للمعارضين في وادي سوات والمناطق المجاورة.

يصف الجزء الثاني عشر بعنوان "الساحة الدامية" كيف أن طالبان تلقي بجثث من تقوم بقتلهم في الميدان لتكون عبرة لكل من تسول له نفسه معارضة طالبان ، وقد وصفت بالتفصيل الإعدامات والاغتيالات وعمليات الاختطاف العلنية التي كانت شائعة في ذلك الوقت وتتحدث الكاتبة عن عملية قتل الراقصة شابانا ، ومنع الموسيقى والرقص وقتل أحد المعلمين لأنه رفض تقصير سرواله إلى ما فوق الكاحل على طريقة طالبان وتتحدث كذاك عن التعاون الخفي بين الجيش وطالبان..

الجزء الثالث عشر بعنوان "يوميات غول ماكاي " يحكي عن مقاومة مالالا وتحديها لنظام طالبان ، ووصفت الكاتبة كيف أن مالالا قامت بالتدوين على خدمة "بي بي سي" باللغة الأردية باسم مستعار هو غول ماكاي ، حيث تصف في مدوناتها الحياة تحت حكم طالبان ، وعن المخاوف التي كانت تنتاب المواطن العادي في ظل هذه الظروف ، وركزت في تدويناتها على مسألة حرمان الفتيات من التعليم في وادي سوات ، وتتحدث عن اليوم الأخير لمالالا في المدرسة بعد أن قامت طالبان بإغلاق مدرستها. وعن زيارة مالالا لإسلام آباد.

أما الجزء الرابع عشر تحت عنوان "نموذج السلام المضحك" تتحدث فيه الكاتبة عن الضغوط التي مورست على قائد طالبان الملا فضل الله للعدول عن فكرة إغلاق المدارس، وتوضح الكاتبة موافقة الحكومة على تطبيق الشريعة الإسلامية في وادي سوات مقابل وقف دائم لإطلاق النار. ومعارضة الولايات المتحدة لهذا الاتفاق ، كما توضح الكاتبة خيبة أمل الناس في هذا السلام الذي لم يغير شئ على الإطلاق وكيف أصبحت طالبان بموجبه أكثر همجية من قبل.

أما الجزء الخامس عشر الذي حمل عنوان "مغادرة الوادي" تتحدث فيه الكاتبة عن مغادرة مالالا وأسرتها للوادي ، وعن معاناتهم وعن مشاعرهم ، كما تسلط الضوء على معسكرات النزوح وعن حياتهم في مسقط رأس أمها وعن احتفالها بعيد ميلادها الثاني عشر بعيدا عن وادي سوات والذي يختلف كثيرا عن عيد ميلادها الحادي عشر.

Abstract

In Chapter ten entitled (Toffees, Tennis balls and the Buddhas of Swat) of this book , which the Researcher has translated part of it (from page 104 to 154) , the author tells about how the Taliban seized Swat Valley ,she talks in detail about the cleric named, Mulana Fazlullah who launched an illegal radio station, and his role in spreading Taliban's ideology by attacking women's education and encouraging girls not to go to school, and how Taliban set fire on DVDs and video tapes, she also talks about the bloody events of the Red Mosque, she explains in detail the return of Benazir Bhutto's from exile and Bhutto's assassination, she shed light on the forces that have been sent by Musharraf to the Swat Valley to fight the Taliban.

Chapter eleven, entitled " The Clever Class " talks about Malala's school as well as the problems facing the girls under the Taliban regime when they go to school, the military operations launched by the army against the Taliban, and the bombings of schools, also she describes how the Taliban were targeting citizens and killing dissidents in the Swat Valley and the neighboring areas.

Chapter twelve entitled "The Bloody Square," describes how Taliban dump the bodies in the square, to be a lesson for anybody tempted to oppose the Taliban. She describes in detail the public executions, assassinations and kidnappings acts that were common at that time. The author talks about the killing of the dancer Shabana, as well as the prevention of music and dance. She describes how the Taliban killed a teacher because he refused to shorten his trousers above the ankle according to the Taliban style, she also highlights the hidden cooperation between the army and the Taliban .

Chapter thirteen entitled " The Diary of Gul Makai " tells about Malala's resistance and opposition of the Taliban regime, the author also describes how Malala under the pseudonym 'Gul Makai', used to write a blog for BBC Urdu, describing life under Taliban rule, as well as fears felt by ordinary citizens under these circumstances, in her blogs she focused on the issue of girls' denial of education in the Swat Valley. She also talks about Malala's last day at school after the Taliban shut down her school, she describes also her visit to Islamabad.

Chapter fourteen entitled "The Funny Kind of Peace" in which the writer talks about the pressure put on the Taliban's commander Mullah Fazlullah, to drop the idea of closing schools, the author explains the government approval of the implementation of Islamic law in the Swat Valley in exchange for a permanent cease-fire, and the U.S. opposition to this agreement. The author shows the people's disappointment at this peace which has not changed anything at all, and how the Taliban became more barbaric than before.

Chapter fifteen entitled "leaving the valley," the author describes how Malala and her family leave the valley, their suffering and their feelings, She sheds light on the displacement camps, Malala's live in the birth place of her mother. She also describes Malala's twelfth birthday away from the Swat Valley, which was very different from her eleventh birthday.

مقدمة البحث التكميلي

هذا الكتاب عبارة عن سيرة ذاتية لمالالا يوسف زاي ، الفتاة الباكستانية المولودة بتاريخ 12 يوليو 1997، والناشطة في مجال حقوق إنسان والتي فازت بجائزة نوبل للسلام لعام 2014 مناصفة مع الهندي كايلاش ساتيارثي ، حيث تعتبر مالالا أصغر شخص يفوز بجائزة نوبل منذ إنشائها حيث بلغ عمرها آنذاك 17 سنة فقط، وقد نالت كذلك الجائزة الوطنية الأولى للسلام في باكستان بالإضافة إلى عدة جوائز، في هذا الكتاب تحكي مالالا تجربتها مع حركة طالبان إبان سيطرتها على موطنها في وادي سوات. اشتهرت بمعارضها لانتهاك حركة طالبان لحقوق الفتيات وحرمانهن من التعليم وقتلهم لمعارضيهم. حاولت طالبان اغتيالها في أكتوبر عام 2012 لكنها أصيبت إصابة بالغة ونجت من الموت بأعجوبة ، لقد وحدت مالالا إبان هذه الحادثة الأمة الباكستانية وأفزعت حركة طالبان فقد أدان الجميع بلا استثناء الهجوم ودعوا لها بالشفاء حيث تلقت العلاج في إحدى المستشفيات التخصصية في بريطانيا، ويروي الكتاب الذي كتب بالاشتراك مع الصحفية كريستينا لامب قصة حياة مالالا قبل وبعد حادثة إطلاق النار عليها ويلقي هذا الكتاب الضوء على قصة حياة مالالا في منزلها بوادي سوات، وهي منطقة جبلية نائية بالقرب من الحدود الأفغانية ، فقد كشفت هذه الطفلة جهل طالبان لذا حاولت اغتيالها بإطلاق الرصاص عليها، وحاولوا بذلك اغتيال طفولتها وحق الفتيات في التعليم ولكنهم أخفقوا في ذلك وعادت لهم مالالا من الموت لتصبح كابوسا عليهم. كانت ترغب في الحصول على بيئة آمنة وحرة لاستكمال الدراسة في مدرستها بعد أن أحرقت طالبان مدارس الفتيات الواحدة تلو الأخرى في مدينتها ، لكن مالالا قاومت ذلك.

إنها طفلة شجاعة وموهوبة خاطرت بحياتها من أجل الحصول على التعليم للبنات. وترجع شهرتها الكبيرة إلى نضالها وآرائها حول ما حدث في سوات والدمار الذي سببته طالبان لقطاع التعليم عبر تفجير العشرات من المدارس – إن هدف مالالا هدف نبيل فهي في نضالها من أجل حق الفتيات في التعليم تقتدي بحديث رسول الله (ص) (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) وتقتدي بهدي القرآن لأن أول آية نزلت هي "إقرأ باسم ربك الذي خلق..) صدق الله العظيم ، فهي تناضل من أجل التعليم وعرضت حياتها للخطر في سبيل ذلك ، فعلى مر التاريخ ولم نسمع أن السلف الصالح ومن تبعهم أنهم منعوا تعليم الفتيات – هذا الكتاب يكشف مدى الجهل والتناقض الذي يكتنف فكر طالبان فهم يدعون بأنهم يسيرون على النهج الإسلامي وفي نفس الوقت يخالفونه ، ومثال على ذلك أن طالبان تريد أن تقوم الطبيبات بمعالجة النساء بدلا من الرجال وفي نفس الوقت تمنع تعليم البنات اللائي سيصبحن طبيبات في المستقبل ، كما أنها تحارب أي شيء غربي ولكنها تستخدم التكنولوجيا الغربية من أسلحة فتاكة وأجهزة اتصالات وتقنيات حديثة في ممارساتها اليومية.

أرى أن هذه التجربة تستحق النقل حتى تكون مصدر إلهام للمجتمع ، فلا بد لنا أن نناصر المرأة في قضاياها من أجل النهوض بمجتمعنا من خلال السعي لتعليمها وإتاحة الفرصة لها لتتبوأ المناصب التي تتناسب وطبيعتها وأن نتيح لها الحرية للتعبير عن نفسها ولأن النساء شقائق الرجال فلابد لنا من الاستماع إليها ومناقشتها بدلا من تقييد فمها وممارسة العنف ضدها .

هذا الكتاب مهم من وجهة نظري فهو يكشف زيف وضلال هذه الجماعات التي تهدف إلى نشر الجهل والأمية وذلك بمنع التعليم وخاصة تعليم البنات متناسين أن المرأة هي نصف المجتمع، كما تساهم هذه الجماعات بشكل أو بآخر بنشر الفوضي عن طريق تطبيق القانون بمنأى عن الدولة وكذلك تساهم في انتشار الأمراض والأوبئة بمنعها تطعيم الأطفال باسم الدين والدين منهم براء. لابد من تسليط الضوء على فكر وممارسات هذه الجماعة وذلك لوضع حلول جذرية للأسباب الكامنة وراء هذا التطرف حتى نمنع الشباب من الانجرار وراء هذه الأفكار ، مع وجوب تبني خطاب ديني متوازن حتى نبتعد عن مثل هذه الأفكار التي تؤدي الى تقطيع أوصال المجتمع، وضرورة محاربة الفساد وإقامة العدل ونشر الوعي وبهذا نقطع الطريق أمام مثل هذه الأفكار ونمنعها من التغلغل في أوساط المجتمع. يقع الكتاب في (265) صفحة، وقام الدارس بترجمة 50 صفحة منه، بدءاً من صفحة 104 حتى 154.

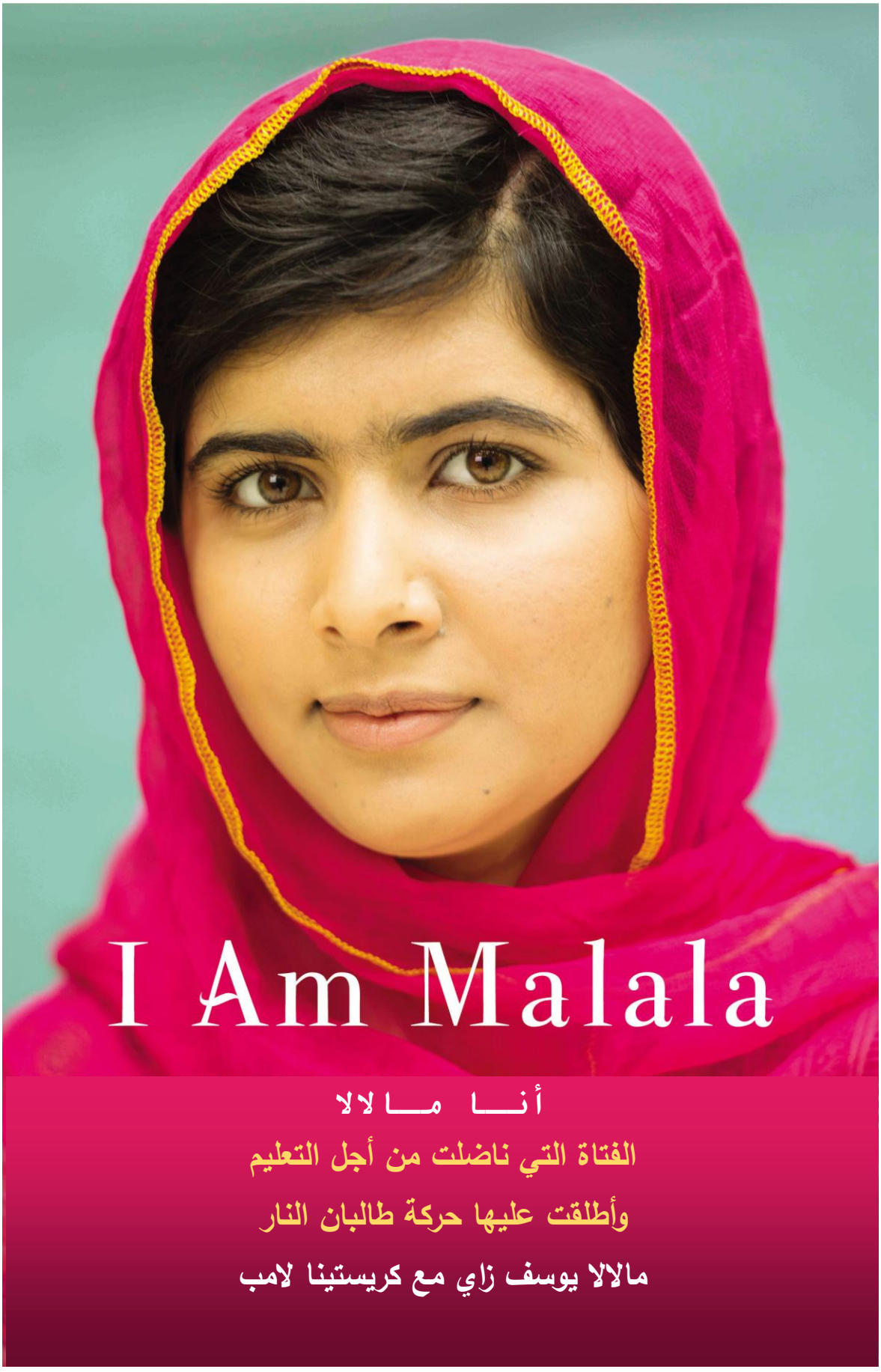
I Am Malala
أنـــا مـــالالا
الفتاة التي ناضلت من أجل التعليم
وأطلقت عليها حركة طالبان النار
مالالا يوسف زاي مع كريستينا لامب

صفحة الإصدار

الموضوع	رقم الصفحة
الآية	ب
بيت شعر	ج
الإهداء	د
الشكر والتقدير	هـ
مستخلص البحث	و
Abstract	ز
مقدمة البحث التكميلي	ح – ط
الغلاف	ي
صفحة الإصدار	ك
المحتويات	ل
المقدمة	1
تتمة الجزء العاشر:	
الحلويات ، كرات التنس وتماثيل بوذا في وادي سوات	8-2
الجزء الحادي عشر:	
الصف الدراسي الذكي	18-9
الجزء الثاني عشر:	
الساحة الدامية	23-19
الجزء الثالث عشر:	
يوميات غول ماكاي	31-24
الجزء الرابع عشر:	
نموذج السلام المضحك	40-32
الجزء الخامس عشر :	
مغادرة الوادي	47-41

بسم الله الرحمن الرحيم

أنا مالالا

الفتاة التي ناضلت من أجل التعليم

وأطلقت عليها حركة طالبان النار

مالالا يوسف زاي

بقلم كريستينا لامب

10

السكاكر وكرات التنس وتماثيل بوذا في سوات

(تتمة)

حاول والدي التصدي لدعايتهم، ولكن كان ذلك صعباً. قال مازحاً "ليس لدي محاربون ولا راديو " حتى إنه تجرأ في أحد الأيام بالدخول إلى القرية التي يبث منها راديو ملا وتحدث في المدرسة. وكان قد عبر النهر في أحد الصناديق المعدنية المعلقة على بكرة كنا نستخدمها كجسور مؤقتة. في الطريق رأى دخاناً عالياً جداً يلامس الغيوم، دخان أكثر سواداً لم ير له مثيلاً. اعتقد في البداية أنه مصنع للطوب، ولكن عندما اقترب رأى أشخاصاً ملتحين يرتدون عمائم ويقومون بحرق أجهزة التلفاز وأجهزة الكمبيوتر.

في المدرسة قال والدي للناس، "رأيت أهالي القرية يحرقون هذه الأشياء. ألا تدركون أن المستفيدين الوحيدين هم الشركات في اليابان، الذين سيصنعون المزيد منها فقط ؟"

جاءه أحد الأشخاص وهمس إليه، "لا تتكلم بهذه الطريقة أكثر من ذلك – إنها محفوفة بالمخاطر".

وفي غضون ذلك، مثل معظم الناس، لم تفعل السلطات شيئاً.

هناك شعور بأن البلد بأسره على وشك الجنون. كانت بقية باكستان منشغلة بشيء آخر – فقد انتقلت طالبان مباشرة إلى قلب عاصمة أمتنا، إسلام آباد.

شاهدنا صوراً في الأخبار لما كان الناس يدعونه لواء البرقع – كانت الشابات والفتيات مثلنا يرتدين البرقع ويهاجمن بالعصي المحلات التجارية في الأسواق التي تبيع أقراص الـ(سي دي) والـ(دي في دي) في وسط إسلام آباد.

كانت النساء ينتمين إلى جمعية حفصة، وتعد أكبر مدرسة للإناث في بلدنا وهي جزء من مسجد لال - المسجد الأحمر في إسلام آباد الذي تم بناؤه في عام 1965 واستمدّ اسمه من جدرانه الحمراء. وهو يبعد عن مبنى البرلمان ومقر جهاز المخابرات الداخلي ببضعة مربعات سكنية، ويؤمه العديد من المسؤولين الحكوميين والعسكريين للصلاة فيه. يضم المسجد مدرستين، واحدة للبنات وأخرى للبنين، وقد تم استخدام مدرسة البنين لسنوات في تجنيد وتدريب المتطوعين للقتال في أفغانستان، وكانت تدار من قبل الشقيقين عبد العزيز وعبد الرشيد، وأصبحت مركزاً لنشر الدعاية عن بن لادن الذي التقاه عبد الرشيد في قندهار عند زيارته للملا عمر. ويشتهر الأخوان بخطبهما الحماسية التي تجذب الآلاف من

المصلين، خاصة بعد 11/ سبتمبر. عندما وافق الرئيس مشرف على مساعدة الولايات المتحدة في "الحرب على الإرهاب"، قطع المسجد علاقاته الطويلة مع الجيش وأصبح مركزاً للاحتجاجات ضد الحكومة. حتى إنه تم اتهام عبد الرشيد بأنه جزء من المؤامرة ذات الصلة بتفجير موكب الرئيس مشرف في روالبندي في ديسمبر 2003 . قال المحققون إنه قد تم تخزين المتفجرات المستخدمة في مسجد لال، ولكن تمت تبرئته بعد بضعة أشهر.

عندما أرسل مشرف[1] قواته إلى المناطق القبلية التي تتم إدارتها اتحاديا، بدءا بوزيرستان في عام 2004، قاد الأخوان حملة أعلنا فيها أن العمليات العسكرية عمل غير إسلامي. كان لديهما موقع إلكتروني خاصا بهما ومحطة مقرصنة أو مزورة على موجة (اف ام) يبثان من خلالها البيانات الخاصة بهما، تماماً مثل فضل الله.

في الوقت نفسه تقريباً الذي بدأت فيه حركة طالبان تنشأ لدينا في وادي سوات، بدأت الفتيات اللائي يدرسن في مدرسة المسجد الأحمر في إرهاب الشوارع في إسلام آباد. بدأن في مداهمة المنازل التي يعتقدن أنه يجري استخدامها كمراكز للتدليك، وقد قمن بخطف النساء بدعوى أنهن عاهرات، وقمن بإغلاق المحلات التي تبيع أشرطة الـ"دي في دي"، وإشعال النيران مرة أخرى في أقراص الـ"سي دي"[2] وأقراص الـ(دي في دي[3]). عندما يناسب الأمر طالبان، يمكن أن تظهر المرأة وتغني . كانت مديرة المدرسة هي أم حسن، زوجة الأخ الأكبر عبد العزيز، وأنها كانت تفتخر بأنها دربت العديد من بناتها ليصبحن انتحاريات. أنشأ المسجد أيضاً محاكمة خاصة لتحقيق العدالة الإسلامية، وقام مسلحوه باختطاف رجال الشرطة ونهب المباني الحكومية .

يبدو أن حكومة مشرف لا تعرف ماذا تفعل، وذلك لأن الجيش مولع جداً بالمسجد، ولكن بحلول منتصف عام 2007 كان الوضع سيئاً للغاية؛ حيث بدأ الناس يشعرون بالقلق من إمكانية سيطرة المسلحين على العاصمة. ربما لا يصدق ذلك – في العادة إسلام آباد هي مكان هادئ ومنظم، وهي تختلف عن بقية بلدنا. أخيراً في مساء يوم 3 يوليو طوّق الكوماندوز المسجد بالدبابات وناقلات الجند المدرعة. قاموا بقطع الكهرباء في المنطقة، وعندما حلّ المساء كان هناك إطلاق نار وانفجارات مفاجئة . قامت القوات بإحداث ثقوب في الجدار المحيط بالمسجد، وأطلقت قذائف الهاون على المجمع، كما حلقت طائرات هليكوبتر في سماء المنطقة. وقد طالبوا الفتيات عبر مكبرات الصوت بالاستسلام.

حارب العديد من المسلحين في المسجد في أفغانستان أو كشمير. حصنوا أنفسهم وطلاب المدرسة بأكياس الرمل داخل المخابئ الخرسانية. تجمع الآباء القلقون في الخارج، وكانوا

[1] الرئيس الباكستاني آنذاك برويز مشرف
[2] الأقراص المضغوطة
[3] أقراص الفيديو الرقمية

يتصلون ببناتهم عبر الهواتف النقالة، ويتوسلون إليهن للخروج. رفضت بعض الفتيات وقلن إن مدرساتهن علمنهن أن الشهادة هي شيء مجيد.

في مساء اليوم التالي ظهرت مجموعة صغيرة من الفتيات. كان عبد العزيز مختبئا في وسطهن، متنكراً في البرقع[4]، جنباً إلى جنب مع ابنته. لكن بقيت زوجته وشقيقه الأصغر في الداخل مع العديد من الطلاب، وكان هناك تبادل يومي لإطلاق النار بين المسلحين والقوات في الخارج، وكان المسلحون يمتلكون قذائف صاروخية مضادة للدبابات (آر بي جي)[5] و قنابل حارقة مصنوعة من زجاجات الاسبرايت . استمر الحصار حتى وقت متأخر بتاريخ 9 يوليو / تموز عندما قتل قائد القوات الخاصة في الخارج برصاص قناص من إحدى المآذن. أخيراً فقد الجيش صبره وقام باقتحام المجمع.

أطلقوا عليها عملية الصمت، على الرغم من أنها كانت عملية صاخبة جداً. لم تحدث أبداً مثل هذه المعركة في قلب عاصمتنا من قبل. قاتلت قوات الكوماندوز لساعات من غرفة إلى غرفة حتى استطاعت أخيراً تعقب عبد الرشيد وأتباعه إلى الطابق السفلي وتمكنت من قتله. وبحلول ليلة يوم 10 يوليو / تموز انتهى الحصار أخيراً ، قتل نحو مائة شخص بينهم عدد من الجنود والأطفال. أظهرت الأخبار صوراً مروعة للحطام والدم والزجاج المحطم وجثث القتلى المنتشرة في كل مكان. كنا كلنا نشاهد ذلك في رعب. كان بعض الطلاب في المدرستين من سوات. كيف يمكن لشيء من هذا القبيل أن يحدث في عاصمتنا وفي المسجد؟ المسجد هو مكان مقدس بالنسبة لنا.

كان ذلك بعد حصار المسجد الأحمر الذي تغيرت بعده طالبان سوات. في 12 يوليو / تموز – وهو التاريخ الذي أتذكره لأنه كان عيد ميلادي – قدم فضل الله خطاباً إذاعياً كان مختلفاً تماماً من خطاباته السابقة. لقد غضب من الهجوم على مسجد لال وتعهد بالانتقام لمقتل عبد الرشيد. ثم أعلن الحرب على الحكومة الباكستانية.

وكان ذلك بداية لاضطرابات حقيقية. حيث تمكن فضل الله بعد ذلك من تنفيذ تهديداته وحشد الدعم لقوات طالبان التابعة له باسم مسجد لال، وبعد بضعة أيام هاجموا قافلة للجيش كانت متجهة إلى وادي سوات وقتل ثلاثة عشر جندياً. ردة الفعل لم تكن فقط في وادي سوات. كانت هناك احتجاجات هائلة من قبل رجال القبائل في باجور وموجة من التفجيرات الانتحارية في أنحاء البلاد. كان هناك شعاع أمل وحيد – وهو عودة بينظير بوتو[6]. وكان الأمريكيون قلقين بأن حليفهم الجنرال مشرف كان لا يحظى بشعبية في باكستان ليكون فعالاً ضد طالبان؛ لذا فقد ساعدوا في التوسط في اتفاق من غير المرجح أن يفضي لتقاسم السلطة.

---

[4] (نقاب) *هو ما* تغطي به النساء وجوههن.

[5] قاذف صاروخي مضاد للدبابات

[6] رئيسة وزراء باكستان مرتين وهي أول امرأة في بلد مسلم تشغل منصب رئيس الوزراء

كانت الخطة تقضي بأن ينزع مشرف بزته العسكرية في النهاية ويكون مدنياً، بدعم من حزب بوتو. في المقابل يقوم بإسقاط تهم الفساد الموجهة لها ولزوجها والموافقة على إجراء الانتخابات التي كان يفترض الجميع أنها ستؤدي إلى أن تصبح بينظير رئيسة الوزراء. لا يوجد باكستاني واحد، بما في ذلك والدي، يعتقد أن هذه الصفقة سوف تنجح لأن مشرف وبينظير كانا يكرهان بعضهما البعض.

كانت بينظير تعيش في المنفى منذ أن كنت في الثانية من عمري، ولكني كنت قد سمعت الكثير عنها من والدي وكان متحمساً جداً لعودتها؛ وكان يرى أنه قد يكون لدينا امرأة قائدة مرة أخرى. لأن الفتيات مثلي يمكن أن يفكرن في التحدث من دون خوف، ويصبحن سياسيات والفضل يعود لبينظير. وكانت هي قدوتنا. إنها ترمز لنهاية الديكتاتورية وبداية الديمقراطية، فضلاً عن أنها تبعث رسالة أمل وقوة لبقية العالم. وكانت هي أيضا زعيمتنا السياسية الوحيدة التي بإمكانها التحدث دون وجل ضد المتشددين، وحتى إنها عرضت المساعدة للقوات الأمريكية لمطاردة بن لادن داخل الحدود الباكستانية.

ومن الواضح أن بعض الناس لا يحبون ذلك. في 18 أكتوبر 2007 كنا جميعاً نجلس ملتصقين بالتلفزيون عندما كانت تنزل من الطائرة في كراتشي؛ وتبكي وهي تخطو على الأراضي الباكستانية بعد ما يقرب من تسع سنوات في المنفى. عندما كانت تسير عبر الشوارع في موكب في حافلة مكشوفة، تدفق مئات الآلاف من الأشخاص لرؤيتها، لقد أتوا من جميع أنحاء البلاد وكان العديد منهم يحملون أطفالاً صغاراً. طارت واحدة من الحمائم البيضاء التي تم إطلاقها وحطت على كتف بوتو. كانت الحشود ضخمة حتى إن الحافلة تتحرك بسرعة المشي. توقفنا عن المشاهدة لفترة من الوقت حيث كان من الواضح أن ذلك سيستغرق ساعات.

كنت قد آويت إلى الفراش عندما هاجم المسلحون الموكب قبل منتصف الليل. تم تفجير حافلة بينظير في موجة من اللهب البرتقالي. أبلغني والدي بالخبر عندما استيقظت في صباح اليوم التالي. وكان هو وأصدقاؤه في حالة من الصدمة حتى أنهم لم يأووا إلى فراشهم . لحسن الحظ نجت بينظير لأنها قد نزلت إلى الطابق السفلي إلى المقصورة المصفحة لإراحة قدميها قبل التفجيرات، لكن قتل 150 شخصاً. كانت أكبر قنبلة تنفجر من أي وقت مضى في بلدنا. وكان كثير من القتلى من الطلاب الذين صنعوا سلسلة بشرية حول الحافلة. وكانوا قد سموا أنفسهم شهداء بينظير. في المدرسة كان الجميع هادئاً ذلك اليوم، حتى أولئك الذين عارضوا بينظير. كنا محبطين ولكن أيضا شاكرين على أنها بقيت على قيد الحياة.

في وقت لاحق، منذ أسبوع، جاء الجيش إلى سوات، وأحدث الكثير من الضوضاء بسيارات الجيب وطائرات الهليكوبتر. كنا في المدرسة عندما وصلت المروحيات لأول مرة وفي غاية الإثارة . ركضنا الى الخارج وألقوا إلينا الحلويات وكرات التنس، حيث أسرعنا لالتقاطها. كان مشهد المروحيات من المشاهد النادرة في وادي سوات، ولكن بما أن منزلنا كان قريباً من المقر المحلي للجيش كانوا في بعض الأحيان يحلقون فوق رؤوسنا تماماً . كنا نجري مسابقات عن "من يجمع أكبر عدد من الحلويات".

في يوم من الأيام جاء رجل من الشارع؛ وقال لنا إنه قد أعلن في المساجد أنه سيكون هناك حظر تجول في اليوم التالي. لم نكن لنعرف ما هو حظر التجول وكنا نشعر بالقلق. كان هناك ثقب في الجدار الذي يفصل بيننا ومنزل جيراننا، أسرة سافينا، والذي من خلاله كنا نتواصل معهم، وقمنا بالضرب على الجدار لذلك جاؤوا إلى مكان الثقب، سألناهم "ماذا يعني حظر التجول هذا؟" . عندما أوضحوا لنا، لم نخرج حتى من غرفنا لأننا اعتقدنا أن شيئاً سيئاً سوف يحدث . في وقت لاحق هيمن حظر التجول على حياتنا.

سمعنا في الأخبار أن مشرف قد قام بإرسال ثلاثة آلاف جندي إلى الوادي لمواجهة طالبان. وقد احتل الجنود كل المباني الحكومية والخاصة التي اعتقدوا أن لها أهمية استراتيجية. حتى ذلك الحين كان يبدو كما لو كان بقية باكستان تتجاهل ما يجري في وادي سوات. في اليوم التالي فجّر انتحاري شاحنة عسكرية أخرى في وادي سوات، مما أسفر عن مقتل سبعة عشر جندياً وثلاثة عشر مدنياً. وكنا نسمع طوال تلك الليلة دوي المدافع والرشاشات من التلال - دار دار دار. كان من الصعب أن ننام .

في اليوم التالي سمعنا في التلفزيون أن القتال قد اندلع في التلال بالشمال. كانت المدرسة مغلقة وبقينا في المنزل، في محاولة لفهم ما يجري. كان القتال يدور خارج مينجورا على الرغم من أننا لا نزال نسمع إطلاق النار. قال الجيش إنه قتل أكثر من مائة من المتشددين، ولكن بعد ذلك وفي اليوم الأول من شهر نوفمبر اجتاح نحو سبعمائة من طالبان موقعاً للجيش في خوازاخيلا . فرّ حوالي خمسين جندياً من قوات حرس الحدود وتم أسر ثمانية وأربعين آخرين؛ وتم عرضهم في جميع الأنحاء. قام رجال فضل الله بإذلالهم حيث أخذوا زيهم وبنادقهم؛ ومنحوا كل واحد منهم مبلغ خمسمائة روبية لتسهيل عودتهم. ثم احتل رجال طالبان مركزين للشرطة في خوازاخيلا وانتقلوا إلى مدين، حيث سلم المزيد من رجال الشرطة أسلحتهم. وسرعان ما سيطرت طالبان على معظم وادي سوات خارج مينجورا.

في 12 نوفمبر أمر مشرف بنشر قوات إضافية قوامها عشرة آلاف جندي في الوادي مدعومة بطائرات هليكوبتر إضافية. كان الجيش في كل مكان. حتى إنهم عسكروا في ملعب للجولف، وكانوا يوجهون بنادقهم الكبيرة إلى سفوح الجبال. وبعد ذلك شنوا عملية ضد فضل الله، والتي أصبحت تعرف فيما بعد باسم معركة سوات الأولى. وكانت هي المرة الأولى التي

يشن الجيش فيها عملية ضد شعبه خارج المناطق القبلية التي تتم إدارتها اتحادياً. حاولت الشرطة ذات مرة إلقاء القبض على فضل الله عندما كان يتحدث في لقاء، ولكن هبت عاصفة رملية ضخمة و تمكن من الفرار. وقد زاد ذلك من سمعته الروحية، والغموض الذي يكتنفه.

لا يستسلم المسلحون بسهولة، بدلاً من ذلك تقدموا إلى الشرق في يوم 16 نوفمبر واحتلوا البوري، وهي المدينة الرئيسية في شانجلا. مرة أخرى هربت الشرطة المحلية دون قتال. وقال الناس هناك إن الشيشان والأوزبك كانوا من بين المقاتلين. أصابنا القلق على أسرتنا في شانغلا ، على الرغم من أن والدي قد قال إن القرية بعيدة جداً عن طالبان لذلك لا تستطيع طالبان أن تسبب أي إزعاج، وقد أوضح السكان المحليون انهم سيمنعونهم من دخول المنطقة. يمتلك الجيش الباكستاني قوة بشرية وأسلحة ثقيلة أكثر بكثير؛ لذلك سرعان ما تمكنوا من استعادة الوادي. أخذوا إمام ديري، مقر فضل الله. فر المسلحون إلى الغابات وبحلول أوائل ديسمبر/ كانون الأول قال الجيش إنه قد تم تطهير معظم المناطق. وقد تراجع فضل الله إلى الجبال.

لكنهم لم يطردوا طالبان بعيداً. "هذا لن يستمر،" توقع والدي ذلك.

لم تكن جماعة فضل الله هي الجماعة الوحيدة التي تسبب الفوضى. ظهرت جماعات متشددة مختلفة في جميع أنحاء شمال غرب باكستان؛ يقودها أشخاص من مجموعات قبلية مختلفة. بعد حوالي أسبوع من معركة وادي سوات، اجتمع أربعون من قادة طالبان من جميع أنحاء محافظتنا في جنوب وزيرستان لإعلان الحرب على باكستان. اتفقوا على تشكيل جبهة موحدة تحت راية تحريك - إي - طالبان باكستان[7]، وزعموا أن لديهم أربعين مقاتلاً. اختاروا رجلاً في أواخر الثلاثينات من العمر زعيماً لهم، كان قد قاتل في أفغانستان، يدعى بيت الله محسود. وتم تعيين فضل الله رئيساً لقطاع سوات.

عندما وصل الجيش كنا نظن أن ذلك من شأنه أن يوقف القتال قريباً، لكننا كنا مخطئين. كان هناك الكثير الذي سيحدث في المستقبل. لم تستهدف طالبان السياسيين ونواب البرلمان والشرطة فحسب، بل أيضاً الناس الذين لم يلتزموا بلبس[8] البردة، وكذلك الذين يربون لحية قصيرة أو الذين يرتدون شالوار كاميز[9] طويلاً.

بتاريخ 27 ديسمبر / كانون الأول خاطبت بينظير بوتو تجمعاً انتخابيا في لياقت باغ، وهي حديقة في روالبندي اغتيل فيها أول رئيس وزراء باكستاني، لياقت علي. "سنهزم قوى التطرف والتشدد بقوة الشعب: صرحت بذلك وسط هتافات صاخبة. وكانت تركب سيارة تويوتا لاند كروزر خاصة مضادة للرصاص، وعندما غادرت الحديقة وقفت على المقعد

[7] حركة طالبان باكستان
[8] نقاب
[9] قميص وسروال يرتديه الباكستانيون

وأبرزت رأسها من خلال فتحة السقف لتحية أنصارها. فجأة كان هناك صوت لإطلاق النار وانفجار؛ حيث قام انتحاري بتفجير نفسه بجانب سيارتها. انزلقت بينظير إلى الأسفل، في وقت لاحق قالت حكومة مشرف إن رأسها ارتضمت بمقبض السقف. وقال بعض الناس إنها تعرضت لإطلاق نار.

كنا نشاهد التلفزيون، عندما جاء الخبر. قالت جدتي، "سوف تصبح بينظير شهيدة، 'بمعنى أنها ستموت موت الشرفاء. أجهشنا جميعا بالبكاء والدعاء لها. وعندما علمنا بموتها، قلت في نفسي، *لماذا لا تذهبين هناك وتناضلين من أجل حقوق المرأة؟* نحن نتطلع إلى الديمقراطية والناس الآن يتساءلون ، "إذا كان بالإمكان أن تموت بينظير ، لا أحد في مأمن ". شعرت كما لو أن الأمل ينفد من بلدي.

ألقى مشرف باللائمة في وفاة بينظير على بيت الله محسود، زعيم طالبان الباكستانية، وقام بنشر نص مكالمة هاتفية تم اعتراضها يعتقد أنها أجريت بينه وأحد زملائه المتشددين وهم يناقشون فيها الهجوم. نفى بيت الله المسؤولية، وكان ذلك أمراً غير عادياً من حركة طالبان.

كان لدينا معلم للدراسات الإسلامية – قارئ سيب - جاء إلى بيتنا لتعليمي القرآن الكريم وأطفال محليين آخرين. وبمجيء طالبان كنت قد أنهيت تلاوة القرآن كاملاً، ما نسميه ختم القرآن، مما أضفى الكثير من البهجة على (بابا)، جدي رجل الدين. كنا نتلو باللغة العربية، وأكثر الناس لا يعرفون بالفعل ماذا تعني الآيات، ولكني بدأت أيضاً تعلمها عن طريق الترجمة. لخوفي حاول أحد القراء - قارئ سيب[10] - تبرير اغتيال بينظير. "كان قتلها عملاً جميلاً جداً". "كانت عديمة الفائدة في حياتها . كانت لا تتبع الإسلام بشكل صحيح. إذا عاشت سيكون هناك فوضى ".

لقد صدمت وأخبرت والدي. وقال والدي "ليس لدينا أي خيار. نحن نعتمد على هؤلاء الملالي[11] لتعلم القرآن. "ولكن استخدميه فقط لمعرفة المعنى الحرفي للكلمات. لا تتبعي تفسيراته وشرحه. تعلمي فقط ما يقوله الله. كلماته هي رسائل سماوية، فأنت حرة ومستقلة في التفسير ".

[10] فقير أو مقرئ القرآن
[11] الزعماء الدينيون في باكستان

11

الصف الدراسي الذكي

إنها المدرسة التي جعلتني أواصل حياتي في تلك الأيام المظلمة. عندما أكون في الشارع أشعر كما لو أن كل إنسان أمر به ينتمي الى طالبان . كنا نخبئ حقائبنا المدرسية وكتبنا في شاولاتنا[12]. كان والدي دائما يقول إن أكثر شيء جميل في القرية في الصباح هو مرأى الأطفال في الزي المدرسي، لكننا الآن خائفون من ارتدائه.

كنا قد انتقلنا إلى المدرسة الثانوية. وقالت مدام مريم لا أحد يريد أن يقوم بتدريس صفنا لأننا كنا نقوم بطرح الكثير من الأسئلة. كنا نحب أن ندعى باسم الفتيات الذكيات. عندما كنا نقوم بتزيين أيدينا بالحناء بمناسبة العطلات وحفلات الزفاف، كنا نرسم حساب التفاضل والتكامل والمعادلات الكيميائية بدلاً من الزهور والفراشات. استمرت المنافسة بيني وبين ملكة النور، ولكن بعد الصدمة التي حدثت لي جراء تغلبها عليّ في بداية التحاقها بمدرستنا، اجتهدت في الدراسة وتمكنت من استعادة وضعي في المركز الأول في الصف على قائمة الشرف بالمدرسة. وكانت ملكة تحل عادة في المركز الثاني ومنيبة في المركز الثالث. أخبرنا المعلمين أن لجنة الامتحان تنظر أولاً إلى الكم الذي كتبناه، ومن ثم طريقة العرض. كانت منيبة تتميز بأجمل خط وأجمل طريقة عرض من بيننا نحن الثلاثة، ولكني كنت أخبرها أنها لا تثق بنفسها بما فيه الكفاية. كانت تقرأ بجد لأنها تشعر بالقلق من أنها إذا حصلت على علامات منخفضة فإن أقاربها الذكور قد يستخدمون ذلك ذريعة لوقف تعليمها. أنا كنت الأضعف في الرياضيات – ذات مرة حصلت على صفر في أحد الاختبارات -لكني اجتهدت في دروسي بعد ذلك. قال معلم الكيمياء السيد عبيد الله (نحن ننادي معلمينا السيد أو السيدة) إنني ولدت سياسية، لأنني كنت أقول دائماً في بداية الامتحانات الشفوية، "سيدي، هل يمكنني القول إنك أفضل معلم، وصفك الدراسي هو صفي المفضل ".

اشتكى بعض الآباء بأني الطالبة المفضلة لأن والدي يملك المدرسة، ولكن كان الناس يصابون بالدهشة دائماً، فعلى الرغم من المنافسة بيننا إلا أننا كنا جميعا أصدقاء جيدين، ولا نغير من بعضنا البعض. وكنا نتنافس أيضاً في ما نسميه بمجالس الامتحانات التي من شأنها اختيار أفضل الطلاب من المدارس الخاصة في المنطقة، وفي سنة واحدة حصلت أنا وملكة

[12] الشال أو الطرحة التي ترتديها فتيات المدارس

النور على العلامات نفسها بالضبط. وجلسنا لورقة امتحان أخرى في المدرسة لمعرفة من الذي سيحصل على الجائزة، ومرة أخرى حصلنا على علامات متساوية. لذلك زال الاعتقاد بين الناس بأنني أحصل على معاملة خاصة، قام والدي بترتيبات بالنسبة لنا للجلوس للامتحانات في مدرسة أخرى، تتبع لصديقه أحمد شاه. مرة أخرى حصلنا على العلامات نفسها، وبناءً على ذلك حصلت كل منا على الجائزة.

كانت هناك أنشطة متعددة في المدرسة مقارنة بالدراسة. أحببنا أداء المسرحيات. كتبت مشهداً مسرحياً هزلياً عن الفساد يستند على رواية روميو وجولييت. لعبت دور روميو الذي كان يعمل موظفاً حكومياً يجري مقابلات مع الناس للعمل. كانت المرشحة الأولى فتاة جميلة، وكان روميو يسألها أسئلة سهلة جدا مثل، "كم عدد عجلات الدراجة؟ عندما أجابت : "اثنان"، قال :" أنت ذكية جداً". المرشح التالي كان رجلاً لذلك طلب منه روميو أشياء مستحيلة مثل: "دون مغادرة الكرسي الذي تجلس عليه أخبرني عن موديل السيارة الموجودة في الغرفة الكائنة فوقناً ". يسأل المرشح "كيف يمكنني أن أعرف؟ ". رد روميو "أنت قلت لي أنك تحمل درجة الدكتوراه، وأنت لا تعرف! " وقرر إعطاء الوظيفة للفتاة.

لعبت منيبة دور الفتاة، بطبيعة الحال، لعبت زميلة أخرى وهي عطية دور مساعدتي لإضافة بعض الملح والفلفل والماسالا[13] بتعليقاتها الجانبية البارعة. ضحك الجميع كثيراً. كنت أحب تقليد الناس، وأثناء الاستراحة بين الحصص كان أصدقائي يطلبون مني أن أقلد شخصية المدرسين، وخاصة السيد عبيد الله. مع كل الأشياء السيئة التي تجري في تلك الأيام، كنا في حاجة، إلى أسباب صغيرة لنضحك.

إن العملية العسكرية التي تمت في نهاية عام 2007 لم تقض على طالبان. بقي الجيش في وادي سوات وكانوا في كل مكان في المدينة، وكان فضل الله لايزال يتحدث كل يوم عبر الراديو وطوال عام 2008، كان الوضع أسوأ من ذي قبل مع حوادث التفجيرات والقتل. كل الذي كنا نتحدث عنه في تلك الأيام هو الجيش و طالبان والشعور بأننا محاصرون بين الجانبين. كانت عطية تداعبني قائلة لي: "حركة طالبان جيدة والجيش ليس جيداً". أجبتها، "إذا كان هناك ثعبان وأسد أتيا لمهاجمتنا ماذا تفضلين الثعبان أم الأسد؟

كانت مدرستنا ملاذاً من الأهوال في الخارج. كانت جميع الفتيات الأخريات في صفي يردن أن يصبحن طبيبات، لكنني قررت بأنني أريد أن أكون مخترعة وأن أصنع آلة لمكافحة طالبان تقوم بكشفهم وتدمير أسلحتهم، ولكنا بالطبع كنا تحت التهديد أيضاً في المدرسة، وقد تركت بعض صديقاتي الدراسة. واصل فضل الله بثه الإذاعي، وقال إنه يجب أن تبقى

[13] البهارات

الفتيات في المنزل، وبدأ رجاله بتفجير المدارس، ويتم ذلك عادة خلال حظر التجوال الليلي عندما لا يتواجد الأطفال هناك.

كانت أول مدرسة يتم تفجيرها هي شاور زانغي ، مدرسة حكومية ابتدائية للبنات في ماتّا. لا يمكن أن نصدق أن أي شخص من شأنه أن يفعل مثل هذا الشيء، ثم تلا ذلك العديد من التفجيرات؛ وكان ذلك يحدث كل يوم تقريباً، حتى في مينجورا، كانت هناك تفجيرات، انفجرت قنبلتان عندما كنت في المطبخ، وكان الانفجار قريبا جداً حتى أن البيت كله قد ارتطم وسقطت المروحة الموجودة فوق النافذة. أصبحت خائفة جداً من الذهاب إلى المطبخ وكنت أجري فقط إلى الداخل والخارج.

في اليوم الأخير من شهر فبراير عام 2008 كنت في المطبخ عندما سمعنا انفجاراً هائلاً. كان صوت الانفجار عالياً يصم الآذان؛ ومن الواضح أنه قريب. كما نفعل دائماً، نادينا بعضنا للتأكد من أننا سالمون جميعاً. "*خيستا، بيشو ، بهابي ، خوشال، أتال!*" ثم سمعنا صفارات الإنذار، واحدة تلو الأخرى؛ كما لو أن كل سيارات الإسعاف في مينجورا كانت تنتقل إلى مكان التفجير، وكان أحد الانتحاريين قد فجّر نفسه في ملعب كرة السلة في مدرسة حاجي بابا الثانوية. كانت صلاة الجنازة تقام لضابط في الشرطة الشعبية المحلية، جاويد إقبال، الذي قتل في هجوم انتحاري في منطقة نائية بينما كان يحاول الهروب من طالبان. كان من مينجورا، وقد أعيد جثمانه لإقامة الجنازة وتقديم التحية العكسرية. قامت حركة طالبان بتفجير المشيعين. قتل أكثر من خمسة وخمسين شخصاً، بما في ذلك ابن جاويد إقبال الصغير وكثير من الناس الذين نعرفهم . كان هناك عشرة أفراد من أسرة منيبة، قتل منهم من قتل وجرح من جرح. كانت منيبة محطمة وكانت المدينة بأكملها في حالة صدمة. وأقيمت المآتم في في كل المساجد.

هل أنت خائف الآن؟ "سألت والدي.

قال لي "في الليل يشتد خوفنا، جاني[14]،" "ولكن في الصباح، في الضوء ، تعود إلينا الشجاعة مرة أخرى. "وهذا صحيح بالنسبة لعائلتي. كنا خائفين، لكن لم يكن خوفنا قوياً كشجاعتنا. "يجب علينا أن نحرر وادينا من طالبان، ومن ثم لا يشعر أي أحد بهذا الخوف".

في أوقات الأزمات نلجأ نحن البشتون إلى الطرق القديمة الموثوق بها، لذلك في عام 2008 أنشأ الشيوخ في وادي سوات جمعية تسمى (قومي جيرغا)[15] الجمعية القومية لتحدي فضل الله. ذهب ثلاثة رجال من الأهالي، وهم مختار خان يوسفزاي، خورشيد كاكاجي وزاهد خان من حجرة لحجرة لإقناع الشيوخ للانضمام. وكان كبير الشيوخ رجلاً له لحية بيضاء في

[14] شخص عزيز
[15] إجتماع وجهاء القبائل

الرابعة والسبعين من العمر يدعى عبد الخالق خان وكان هو أحد حراس الملكة عندما زارت وادي سوات لتقيم مع الوالي. على الرغم من ذلك فإن والدي لم يكن شيخاً أو سيداً (خان)، إلا أنه قد اختير كناطق رسمي لأنه لم يكن خائفاً من التحدث علناً. على الرغم من أنه كان ملهماً بلغة الباشتو، إلا أنه يستطيع التحدث باللغة الوطنية، الأردية، والإنجليزية بطلاقة، وهو ما يعني أنه كان محاوراً فعالاً خارج وادي سوات وكذلك في الداخل.

كل يوم، نيابة عن مجلس حكماء وادي سوات، كان يحضر في الندوات أو في وسائل الإعلام التي تتحدى فضل الله. "ماذا تفعل؟ كان يوجه له السؤال . 'أنت تدمر حياتنا وثقافتنا".

كان أبي يقول لي: سأنضم لأي منظمة تعمل من أجل السلام. إذا كنت ترغب في حل نزاع أو الخروج من صراع، فإن أول شيء تقوم به هو قول الحقيقة. إذا كنت تشعر بصداع وتقول للطبيب إنك تشعر بألم في المعدة، كيف يمكن أن يساعدك الطبيب؟ يجب قول الحقيقة. والحقيقة ستزيل الخوف ".

عندما كان يلتقي زملاءه الناشطين، وخاصة أصدقائه القدامى وهم أحمد شاه، ومحمد فاروق و زاهد خان، كنت في الغالب أذهب معه. وكان أحمد شاه يملك أيضاً مدرسة، حيث يعمل محمد فاروق، وأنهم كانوا في بعض الأحيان يجتمعون في حديقتها. وكان زاهد خان يملك فندقاً، وكان بالفندق حجرة[16] كبيرة. وعندما كانوا يأتون إلى منزلنا كنت أحضر لهم الشاي ثم أجلس بهدوء واستمع إليهم حينما كانوا يناقشون ما يجب القيام به. كانوا يقولون "مالالا ليست مجرد ابنة ضياء الدين؟، " إنها هي ابنة كل واحد منا؟

كانوا يروحون ويغدون إلى بيشاور وإسلام آباد ويجرون مقابلات كثيرة في الراديو، وخاصة لصوت أمريكا و(البي بي سي)، وكانوا يتناوبون في ذلك، لذا كان يوجد دائماً واحد منهم. قالوا للناس إن ما يحدث في سوات ليس له علاقة بالإسلام. وقال والدي إن وجود طالبان في وادي سوات لم يكن ممكناً بدون دعم من البعض في الجيش والبيروقراطية. تهدف الدولة لحماية حقوق مواطنيها، بل إنه موقف صعب جداً عندما لا تستطيع معرفة الفرق بين الدولة واللا دولة ، ولا يمكن أن تثق بالدولة لحمايتك من اللادولة.

إن جيشنا وجهاز الاستخبارات الداخلي قويان جداً، ومعظم الناس لا يرغبون في التعبير عن هذه الأمور علناً، ولكن لم يكن والدي وكثير من أصدقائه خائفين. كان يقول "ما تقومون به هو ضد شعبنا وضد باكستان" لا تدعموا الطالبانية، إنها غير إنسانية . يقال لنا إنه تتم التضحية بسوات من أجل باكستان، ولكن لا أحد ولا شيء يجب التضحية به من أجل الدولة، إن الدولة هي مثل الأم، والأم لا تهجر أو تغش أطفالـــها أبداً ."

[16] غرفة للإجتماع

كان يكره حقيقة أن معظم الناس لا يتحدثون علناً، كان يحتفظ في جيبه بقصيدة كتبها "مارتن نيمولر" ، الذي عاش في عهد ألمانيا النازية .

أولاً جاؤوا للقبض على الشيوعيين،
لم أجاهر برأيي لأنني لم أكن شيوعياً .
ثم أتوا للاشتراكيين،
و لم أجاهر برأيي لأنني لم أكن اشتراكياً .
ثم جاؤوا للنقابيين،
ولم أجاهر برأيي لأنني لم أكن نقابياً
ثم جاؤوا لليهود،
لم أجاهر برأيي لأنني لم أكن يهودياً .
ثم جاؤوا للكاثوليك،
ولم أجاهر برأيي لأنني لم أكن كاثوليكيا .
ثم جاؤوا للقبض علي،
ولم يتبق هناك أحد ليجاهر برأيه من أجلي .

كنت أعرف أنه كان على حق. إذا كان الناس صامتين فإن لا شيء سيتغير.

في المدرسة نظم والدي مسيرة للسلام وشجعنا على التحدث علناً ضد ما كان يحدث. عبرت منيبة عن الموضوع بشكل جيد. قالت "نحن البشتون شعب محب للدين،" "وبسبب طالبان، أصبح كل العالم يدعي أننا إرهابيون. ليست هذه هي القضية. نحن محبون للسلام. جبالنا، وأشجارنا، أزهارنا - كل شيء في وادينا هو عن السلام ". وقدمت مجموعة منا، نحن الفتيات، مقابلة مع تلفزيون خيبر، وهي القناة التلفزيونية الوحيدة بلغة الباشتو المملوكة ملكية خاصة، حول تسرب الفتيات من المدارس بسبب القتال. قام المعلمون بمساعدتنا مسبقاً حول كيفية الرد على الأسئلة. لم أكن الوحيدة التي يتم إجراء المقابلة معها. عندما كنا في الحادية عشرة والثانية عشرة من العمر ، كنا نجري المقابلات معاً، ولكن عندما بلغنا الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة لم يسمح إخوة وآباء صديقاتي لهن بذلك لأنهن قد وصلن سن البلوغ، وينبغي عليهن الالتزام بلبس البردة[17] وكانوا خائفين أيضاً.

في يوم من الأيام ذهبت إلى قناة (جيو)، وهي واحدة من أكبر القنوات الإخبارية في بلدنا. كان هناك جدار من الشاشات في مكتبهم . اندهشت لرؤية هذا العدد الكبير من القنوات. وفكرت بعد ذلك، في أن أجهزة الإعلام تحتاج الى إجراء مقابلات. إنهم يريدون إجراء مقابلة مع فتاة صغيرة، ولكن الفتيات خائفات، وحتى إذا لم يكن خائفات، لا يسمح آباؤهن بذلك. لديّ أب لا يخاف، ويقف إلى جانبي. قال: "أنت طفلة ومن حقك الكلام". كلما أجريت المزيد من المقابلات، شعرت بالقوة وتلقينا المزيد من الدعم. كان عمري أحد عشر عاماً فقط ولكن كنت أبدو أكبر سناً ، ويبدو أن وسائل الإعلام كانت تحب الاستماع إلى فتاة صغيرة. سماني أحد الصحفيين "جيناي تاكرا" – ومعناها "الشابة الذكية المتألقة "، وقال آخر أنت "باخا جيناي " - ومعناها أنت حكيمة بما يفوق سنك. في قلبي إيمان بأن الله سيحميني. إذا كنت أتحدث عن حقوقي، وعن حقوق الفتيات، فأنا لا أفعل شيئاً خاطئاً. ومن واجبي القيام بذلك. الله يريد أن يرى كيف نتصرف في مثل هذه الحالات. هناك قول مأثور في القرآن، "جاء الحق وزهق الباطل". إذا كان هناك رجل واحد ، وهو فضل الله، يمكن أن يدمر كل شيء، لماذا لا تستطيع فتاة واحدة تغييره؟ كنت أتساءل. كنت أدعو الله في كل ليلة أن يعطيني القوة.

كانت وسائل الإعلام في سوات ترزح تحت الضغط لتقديم تغطية إيجابية عن طالبان حتى إن بعضها كان يدعو المتحدث الرسمي باسم طالبان – مسلم خان - احتراماً "أبو المدارس حيث إنه في الواقع كان يدمر المدارس، ولكن العديد من الصحفيين المحليين كانوا غير راضين عن ما كان يحدث في الوادي وقد وفروا لنا منبراً قوياً لأننا كنا نقول الأشياء التي لم يجرؤوا هم على قولها .

[17] نقاب

لم يكن لدينا سيارة لذلك كنا نذهب بالتك تك[18] ، أو يقوم أحد أصدقاء والدي بأخذنا إلى مكان المقابلات. في يوم من الأيام ذهبت أنا ووالدي إلى بيشاور للظهور في برنامج حواري في قناة (بي بي سي) باللغة الأردية، يستضيفه كاتب عمود شهير يسمى وسيط الله خان .ذهبنا مع صديق والدي فضل مولى وابنته "بنتان ووالدان" وقد استضافوا مسلم خان لتمثيل حركة طالبان، حيث لم يكن في الاستوديو .كنت عصبية بعض الشيء ولكن كنت أعرف أنه كان برنامجاً مهماً، حيث سيستمع إليه عدد كبير من الناس في جميع أنحاء باكستان. قلت " كيف تجرؤ طالبان على أن تسلب حقي الأساسي في التعليم؟" . لم يكن هناك أي رد من مسلم خان لأن مقابلته عبر الهاتف كانت مسجلة مسبقاً، كيف يستطيع "التسجيل" الإجابة على الأسئلة المباشرة؟

بعد ذلك هنأني الناس، ضحك والدي وقال يجب عليّ أن أدخل في معترك السياسة، ما زحني أبي قائلاً " بالرغم من أنك مازلت طفلة، إلا أنك تتحدثين كسياسية ."ولكني لا استمع إلى المقابلات التي أجريتها .عرفت أنها كانت خطوات صغيرة جداً .

كانت كلماتنا مثل أزهار شجرة الأوكالبتوس الربيعية التي قذفتها الرياح بعيداً، استمر تدمير المدارس. في ليلة 7 أكتوبر 2008 سمعنا سلسلة من الانفجارات البعيدة. في صباح اليوم التالي علمنا أن مسلحين ملثمين دخلوا مدرسة دير سانغوتا للبنات وكلية اكسلسيور للبنين؛ وتم تفجيرهما باستخدام أجهزة التفجير المرتجلة وقد تم إجلاء المعلمين، حيث إنهم تلقوا تهديدات في وقت سابق كانت هذه المدارس شهيرة، وخاصة سانغوتا، التي يرجع تاريخها إلى عهد الوالي السابق، وكانت معروفة بتميزها الأكاديمي، كانت ضخمة أيضاً- وكانت اكسلسيور تضم أكثر من ألفي تلميذ و كانت سانغوتا تضم ألف تلميذ . ذهب والدي إلى هناك بعد التفجيرات ووجد المباني قد سويت بالأرض تماماً، أجرى مقابلات مع مراسلي التلفزيون وسط الطوب المكسر والكتب المحروقة وعاد إلى البيت مرعوباً. قال " أضحت المدارس كلها مجرد أنقاض".

ومع ذلك بقي والدي متفائلاً، وكان يعتقد أنه سيأتي اليوم الذي يتم فيه وضع حد للتدمير، ما كان يحزنه حقاً نهب أثاث وكتب المدارس المدمرة، وقد تمت سرقة كل أجهزة الكمبيوتر من قبل السكان المحليين .بكى عندما سمع هذا، "هم كالنسور التي تقفز على جثة".

في اليوم التالي شاهد بثاً مباشراً على إذاعة صوت أمريكا، وأدان بغضب الهجمات، كان مسلم خان، المتحدث باسم طالبان، على الهاتف سأله والدي" ما هو خطأ هاتان المدرستان حتى يتوجب عليكم تفجيرهما؟."

[18] تسمى في السودان بالركشة

قال مسلم خان إن سانغوتا هي مدرسة للراهبات تدرس المسيحية، واكسلسيور هي مدرسة مختلطة تدرس الفتيات والأولاد معاً."كلا الأمرين غير صحيح" . أجاب والدي " كانت مدرسة سانغوتا موجودة منذ عام 1960م ولم تحول أي شخص مطلقا إلى المسيحية - في الواقع بعضهم تحول إلى الإسلام .وأن اكسلسيور تطبق التعليم المختلط في القسم الابتدائي" .

لم يجب مسلم خان، " وماذا عن بناتهم؟"، سألت والدي" ألا يريدون لهن التعليم؟

كانت مديرة مدرستنا مدام مريم قد درست في سانغوتا، وكانت شقيقتها الصغرى عائشة تلميذة هناك، لذلك انتقلت هي وغيرها من فتيات سانغوتا إلى مدرستنا. كانت الرسوم الشهرية للمدرسة غير كافية لتغطية جميع مصروفاتنا؛ لذلك كان فرض رسوم إضافية محل ترحيب، ولكن والدي كان غير سعيد، ذهب إلى كل مكان يمكنه الذهاب إليه مطالباً بإعادة إعمار المدرستين على حد سواء، مرة تحدث في تجمع كبير ورفع طفلة أحد أفراد الجمهور وقال، "هذه الفتاة هي مستقبلنا . هل نريد لها أن تكون جاهلة؟ تعاهد الحشد على أنهم سيضحون بأنفسهم من أجل تعليم بناتهم، كان لدى الفتيات الجديدات قصص رهيبة . أخبرتنا عائشة كيف أنها في يوم من الأيام وهي في الطريق إلى البيت من سانغوتا شاهدت أحد رجال طالبان رافعاً رأساً مقطوعاً من شعره والدم يقطر من رقبته يعود لأحد رجال الشرطة . كانت فتيات سانغوتا ذكيات جداً، مما يعني المزيد من المنافسة . كانت إحداهن وتسمى، رضا، ممتازة في إلقاء الخطب، أصبحت صديقة عزيزة لي ومنيبة، وقد تسبب ذلك في حدوث شجار في بعض الأحيان حيث إن الرقم ثلاثة هو رقم خادع، كثيراً ما كانت منيبة تجلب طعاماً إلى المدرسة وتجلب معها شوكة واحدة فقط "هل أنت صديقتي أم صديقة رضا؟ سألت منيبة.

ضحكت وقال " نحن الثلاث جميعاً صديقات عزيزات".

" بحلول نهاية عام 2008م، كان قد تم تدمير حوالي أربعمائة مدرسة من قبل حركة طالبان .كانت لدينا حكومة جديدة تحت قيادة الرئيس آصف زرداري، أرمل بينظير، ولكن يبدو أنهم لا يهتمون بوادي سوات .قلت للناس إن الأمور ستكون مختلفة إذا كانت بنات زرداري يدرسن في المدارس في وادي سوات. كانت هناك تفجيرات انتحارية في كل أنحاء البلاد، حتى فندق ماريوت في إسلام آباد تم تفجيره .

في وادي سوات كانت الأحوال أكثر أمناً في المدينة؛ مما هي عليه في المناطق النائية وجاء الكثير من أفراد عائلتنا من الريف للعيش معنا، كان المنزل صغيراً وأصبح مزدحماً جداً بأبناء عمومتنا الذين يسكنون معنا . كان هناك القليل من الأشياء التي نقوم بها ، لم نتمكن من لعب الكريكيت في الشارع أو على السطح كما كنا نفعل . لعبنا بقطع الرخام مراراً وتكرارا .

ً كنا نتشاجر بدون توقف مع أخي خوشال، ونذهب ونحن نبكي إلى والدتنا . لم يحدث قط في التاريخ أن أصبح خوشال ومالالا أصدقاء .

أحب تصفيف شعري بأنماط مختلفة وأقضي أوقاتاً طويلة في الحمام أمام المرآة؛ حيث أقوم بتقليد المشاهد التي رأيتها في الأفلام، حتى عندما بلغت سن الثامنة أو التاسعة كانت والدتي تقص شعري قصيراً مثل إخواني بسبب القمل، وأيضاً ليسهل غسله واستخدام الفرشاة لأنه يتبعثر تحت الشوال . ولكن في النهاية أقنعتها بأن تسمح لي بأن أتركه ينمو حتى كتفي . عكس منيبة ، التي لديها شعر مستقيم، شعري متموج ، وكنت أحب تطوعه في تجعيدات ولفه في ضفائر" .ماذا تفعلين هناك بيشو؟ كانت أمي تصرخ "ضيوفنا يحتاجون للحمام ويتعين على الجميع انتظارك! ".

كان أحد أسوأ الأوقات هو صيام شهر رمضان في 2008 . خلال شهر رمضان لا يمكن أن يمر أي طعام أو شراب على شفاه المسلم في ساعات النهار .فجرت حركة طالبان محطة الطاقة لذلك لم يكن لدينا كهرباء، ثم بعد بضعة أيام قاموا بتفجير خط الأنابيب لذلك لم يكن لدينا غاز على حد سواء . تضاعف سعر اسطوانات الغاز الذي كنا نشتريه من السوق لذلك كانت أمي تطبخ بالنار كما نفعل في القرية. لم تشكُ – كان يتعين طبخ الطعام فقامت بطبخه، وكان هناك آخرون أسوأ حالا منا بكثير. ولكن لم تكن هناك مياه نظيفة وبدأ الناس يموتون من الكوليرا. لم يكن بمقدور المستشفى معالجة جميع المرضى؛ وكان يتعين نصب خيام كبيرة في الخارج لعلاج الناس.

على الرغم من أنه ليس لدينا مولد كهربائي في المنزل، الا أن والدي اشترى مولداً لتركيبه في المدرسة، وكان يتم ضخ المياه العذبة من بئر، حيث يذهب جميع الأطفال في الحي لجلبها. كل يوم يكون هناك طوابير من الناس ينتظرون لملء الأباريق والقوارير والبراميل. شعر أحد الجيران بالخوف وسأل "ماذا نفعل؟ "إذا اكتشفت حركة طالبان أنكم تمنحون المياه في شهر رمضان سيقومون بتفجيرنا ! "

أجاب والدي أن الناس سوف يموتون إما من العطش أو من التفجيرات.

بدت الأيام التي كنا نذهب فيها في رحلات أو نزهات مثل حلم. لا أحد يغامر بالخروج من منزله بعد غروب الشمس. قام الإرهابيون بتفجير مصعد التزلج والفندق الكبير في مالام جابا، حيث درج السوّاح على الإقامة. تحول نعيم العطلة إلى جحيم حيث لا يمكن أن يغامر السواح بالخروج.

ثم، في نهاية عام 2008، أعلن مولانا شاه دوران نائب فضل الله في الراديو أن جميع مدارس البنات ستغلق. وحذر أنه بحلول يوم 15 يناير يجب أن لا تذهب الفتيات إلى

المدارس. ففي البداية أعتقدت أن الأمر مزحة. سألت صديقاتي "كيف يمكنهم أن يمنعونا من الذهاب إلى المدرسة؟". "ليس لديهم السلطة. هم يقولون إنهم سوف يدمرون الجبال ولكنهم لا يستطيعون حتى السيطرة على الطريق ".

لم توافقني الرأي الفتيات الأخريات. سألن "من سيوقفهم؟" . "لقد فجروا بالفعل المئات من المدارس ولم يحرك أي شخص ساكناً ".

كان والدي يقول إن على أهل سوات والمعلمين مواصلة تدريس أطفالنا حتى آخر غرفة، وآخر معلم وآخر طالب على قيد الحياة. لم يقترح والدي أبداً في أي مرة من المرات بأن انسحب من المدرسة، على الرغم من أننا نحب المدرسة، إلا أننا لم ندرك مدى أهمية التعليم إلى أن حاولت طالبان إيقافنا. إن الذهاب إلى المدرسة، والقراءة والقيام بواجباتنا المدرسية ليست مجرد وسيلة لتمضية الوقت، بل هي مستقبلنا.

لقد تساقط الثلج في فصل الشتاء وقمنا ببناء الدببة من الثلوج، ولكن من دون الكثير من الفرح. في فصل الشتاء كانت حركة طالبان تختبئ في الجبال، ولكنا كنا نعلم أنهم سيعودون وليس لدينا فكرة عما سيحدث. كنا نعتقد أن المدارس ستبدأ مرة أخرى. باستطاعة طالبان أن تأخذ أقلامنا وكتبنا ، ولكن ليس في استطاعتهم وقف عقولنا عن التفكير.

12

الساحة الدامية

يتم إلقاء الجثث في الساحة ليلاً حتى يراها الجميع في صباح اليوم التالي، وهم في طريقهم إلى العمل. في الغالب كانت تعلق عليها مذكرة تقول شيئاً من هذا القبيل، "هذا ما سيحدث لأفراد الجيش: أو "لا تلمس هذه الجثة حتى الساعة 11 صباحا أو سوف تكون أنت التالي. في بعض الليالي التي يحدث فيها القتل تكون هناك أيضاً زلازل، الأمر الذي جعل الناس يخافون أكثر حيث إننا نربط كل كارثة طبيعية بكارثة بشرية.

قتلوا شبانة في ليلة شديدة البرودة في يناير كانون الثاني عام 2009. كانت تسكن في بانر بازار، وهو شارع ضيق في بلدتنا مينجورا التي تشتهر بالراقصين والموسيقيين. وقال والد شبانة طرقت مجموعة من الرجال على باب منزلها وطلبوا منها أن ترقص لهم. ذهبت لترتدي ملابس الرقص، وعندما عادت لترقص لهم، قاموا بسحب أسلحتهم وهددوا بقطع عنقها. حدث هذا بعد ساعات حظر التجول في تمام الساعة 9:00 م وسمعها الناس وهي تصرخ، "أعدكم بأنني سوف أتوقف! أعدكم بأنني لن أغني أو أرقص مرة أخرى. اتركوني، لوجه الله! أنا امرأة، ومسلمة. لا تقتلوني! "ثم دوت طلقات الرصاص ومن ثم تم سحب جسدها الممزق إلى ساحة جرين تشوك. وهكذا تم ترك العديد من الجثث هناك، لذلك بدأ الناس يصفونها بالساحة الدامية.

سمعنا عن وفاة شبانة في صباح اليوم التالي. على راديو (ملا اف ام) ، قال فضل الله إنها تستحق الموت بسبب شخصيتها غير الأخلاقية، وأن أي فتيات أخر يتم ضبطهن وهن يمارسن الغناء والرقص في بانر بازار سيقتلن الواحدة تلو الأخرى . كنا نفخر بموسيقانا وفننا في وادي سوات، ولكن الآن فرت معظم الراقصات إلى لاهور أو إلى دبي. كان الموسيقيون ينزعون الإعلانات المنشورة في الصحف قائلين إنهم توقفوا عن العزف وقد تعهدوا بأن يعيشوا حياة مستقيمة لاسترضاء طالبان.

اعتاد الناس على الحديث عن شخصية شبانة السيئة، ولكن كان رجالنا يرغبون في رؤية رقصها وأيضا يحتقرونها لأنها كانت راقصة. ابنة خان[19] لا يمكن أن تتزوج ابن الحلاق، وابنة الحلاق لا يمكن أن تتزوج ابن خان. نحن البشتون نحب الأحذية ولكن لا نحب الإسكافي. نحن نحب أوشحتنا وبطانياتنا ولكن لا نحترم الحائك. ساهم العمال اليدويون

[19] سيد

مساهمة كبيرة في مجتمعنا لكنهم لم يحصلوا على أي اعتراف، وهذا هو السبب الذي جعل الكثير منهم ينضمون إلى طالبان - لتحقيق المكانة والسلطة في النهاية.

لذلك أحب الناس رؤية شبانة وهي ترقص ولكن لم يحترموها، وعندما أغتيلت لم يقولوا شيئاً. حتى إن بعضهم وافق على قتلها، خوفاً من طالبان أو تأييداً لهم . قالوا " شبانة ليست مسلمة". "كانت سيئة، وإن قتلها كان صواباً ".

لا أستطيع أن أقول إن ذلك كان أسوأ يوم. في الوقت الذي حدثت فيه جريمة قتل شبانة كان كل يوم يبدو وكأنه أسوأ يوم. كانت كل لحظة هي الأسوأ. كانت الأخبار سيئة في كل مكان: تم قصف منزل هذا الشخص، تم تفجير هذه المدرسة، تم تنفيذ الجلد العلني. وكانت القصص لا تنتهي وكانت قاهرة. بعد أسبوعين من مقتل شبانة، قتل معلم في ماتا عندما رفض تقصير الشالوار[20] إلى مافوق الكاحل بالطريقة نفسها التي يرتدي بها رجال طالبان الشالوار. قال لهم إن هذا غير مطلوب في أي مكان في الإسلام. قاموا بشنقه ثم أطلقوا النار على والده.

لا أستطيع أن أفهم ماذا كان يحاول رجال طالبان القيام به. قلت في المقابلات "إنهم يسيئون إلى ديننا". "كيف تتقبل الإسلام إذا أنا صوبت مسدساً إلى رأسك وقلت لك إن الإسلام هو الدين الحق؟ إذا كانوا يريدون أن يصبح كل شخص في العالم مسلماً؛ فلماذا لا يظهرون أنفسهم أولاً بأنهم مسلمون صالحون؟"

كان والدي يأتي الى البيت بانتظام، وهو في حالة صدمة بسبب الأشياء الرهيبة التي شاهدها وسمع عنها مثل قطع رؤوس رجال الشرطة، وعرض رؤوسهم في المدينة. حتى أولئك الذين دافعوا عن فضل الله في البداية، معتقدين أن رجاله كانوا هم حملة المعيار الحقيقي للإسلام، وأعطوه ذهبهم، بدأوا ينقلبون ضده. أخبرني والدي عن امرأة كانت قد تبرعت بسخاء لحركة طالبان عندما كان زوجها يعمل في الخارج. عندما عاد وتبين أنها وهبت ذهبها غضب على ذلك. في إحدى الليالي كان هناك انفجار صغير في قريتهم وبكت الزوجة. قال لها زوجها "لا تبكي". "هذا هو صوت أقراطك وحلقات أنفك. الآن استمعي إلى صوت قلائدك وأساورك".

ومع ذلك لا يزال هناك عدد قليل جداً من الناس يتحدث علناً، أصبح المنافس السياسي القديم لوالدي في الكلية إحسان الحق حقاني صحفياً في إسلام آباد ونظم مؤتمراً حول الوضع في سوات. لم يحضر أحد من المحامين والأكاديميين الذين دعاهم من وادي سوات للحديث. ذهب والدي وبعض الصحفيين فقط. يبدو أن الناس قد قرروا أن طالبان جاءت هنا لتبقى، وأنه من الأفضل لهم مسايرتها. كان الناس يقولون "عندما تنضم إلى طالبان ستنعم بالأمن على حياتك بنسبة مائة في المائة ". هذا هو السبب الذي يجعلهم يقدمون لطالبان متطوعين

[20] السروال

من شبابهم . إن حركة طالبان تأتي إلى منازل الناس، وتطلب المال لشراء بنادق كلاشينكوف، أو تطلب منهم تسليم أبنائهم للقتال معهم. هرب كثير من الأغنياء. كان الفقراء لا خيار لهم سوى البقاء وبذل قصارى جهدهم للبقاء على قيد الحياة، لذلك ذهب الكثير من رجالنا إلى المناجم أو إلى الخليج للعمل، وتركوا أسرهم بلا أب، وكان الأبناء فريسة سهلة لطالبان.

بدأت التهديدات تقترب من البلد. في أحد الأيام تلقى أحمد شاه تحذيراً بالقتل من أشخاص غير معروفين، لذلك غادر إلى إسلام آباد لفترة من الوقت في محاولة لرفع مستوى الوعي هناك بما كان يحدث لدينا في الوادي. أحد أسوأ الأشياء عن تلك الفترة كان عندما بدأنا نشك في بعضنا البعض. حتى أن أصابع الاتهام أشارت إلى والدي. "شعبنا يُقتل، ولكن ضياء الدين هذا يتكلم بجرأة ، وأنه لا يزال حياً! يبدو أنه عميل سري! "في الواقع أنه كان قد تم تهديده أيضاً ولكن لم يخبرنا. وقد عقد مؤتمراً صحفياً في بيشاور طالب فيه بالعمل العسكري ضد طالبان ومطاردة قادتهم. بعد ذلك أخبره الناس أن اسمه قد سمع في إذاعة الملا عندما قام شاه دوران بتهديده.

تجاهل والدي ذلك. ولكني كنت قلقة. كان والدي جريئاً وقد شارك في العديد من التجمعات واللجان، وأنه في كثير من الأحيان لا يعود إلى المنزل قبل منتصف الليل. بدأ ينام في أحد بيوت أصدقائه لحمايتنا إذا جاءت طالبان تطلبه. هو لا يستطيع تحمل فكرة أن يُقتل أمامنا. لا أستطيع النوم حتى يعود وبعد ذلك استطيع قفل الباب. عندما يكون والدي في المنزل كانت والدتي تضع سلماً في الفناء الخلفي يصل إلى الجدار الخارجي حتى يتمكن من النزول إلى الشارع إذا كان هناك خطر مفاجئ. ضحك على هذه الفكرة. "ربما أتال السنجاب يمكن أن ينجح في ذلك ولكن لست أنا! "

كانت والدتي تحاول دائماً أن تضع خططاً بما ستفعله لو جاءت طالبان. فكرت في وضع سكين تحت وسادتها عند النوم. قلت يمكنني أن أتسلل إلى المرحاض والاتصال بالشرطة. فكرت أنا وإخوتي في حفر نفق. مرة أخرى دعوت الله أن يمدني بعصا سحرية تجعل طالبان تختفي .

في أحد الأيام رأيت أخي الصغير أتال يحفر في الحديقة بغضب، سألته "ماذا تفعل؟" قال "أحفر قبراً". كانت نشرات أخبارنا مملوءة بالقتل والموت، لذا كان من الطبيعي لأتال التفكير في التوابيت والقبور. بدلاً من لعبة الغميضة (الاختباء والبحث) والشرطة واللصوص أصبح الأطفال يلعبون الآن لعبة الجيش ضد طالبان. كانوا يصنعون الصواريخ من فروع الأشجار ويستخدمون العصي كبنادق الكلاشينكوف. وكانت هذه رياضات الإرهاب.

ليس هناك أحد ليحمينا. نائب المفوض، سيد جاويد، كان يحضر اجتماعات طالبان، ويصلي في مسجدهم ويترأس اجتماعاتها. أصبح أحد أفراد طالبان المثاليين. كانت المنظمات غير الحكومية، هي إحدى أهداف طالبان وكانوا يقولون إنها معادية للإسلام. عندما تلقت المنظمات غير الحكومية رسائل تهديد من طالبان وذهبوا إلى نائب المفوض لطلب مساعدته، لم يلقوا منه أذناً صاغية. مرة تحداه والدي في أحد الاجتماعات: "أنت تمثل أوامر من؟ فضل الله أو الحكومة؟ نقول في اللغة العربية، 'الناس على دين ملوكها". عندما تنضم أعلى سلطة في منطقتك إلى طالبان، ومن ثم تصبح الطالبانية أمراً طبيعياً.

نحن نحب نظريات المؤامرة في باكستان وكان لدينا الكثير، البعض يعتقد أن السلطات تشجع طالبان عمداً، قالوا إن الجيش أراد حركة طالبان في وادي سوات لأن الأمريكيين يريدون استخدام قاعدة جوية هناك لإطلاق طائراتهم بدون طيار. بوجود حركة طالبان في الوادي، بإمكان حكومتنا أن تقول للأميركيين لا يمكننا مساعدتكم لأن لدينا مشاكلنا الخاصة. كانت تلك أيضاً وسيلة للرد على الانتقادات الأميركية المتزايدة بأن جيشنا يساعد طالبان بدلاً من أن يحاول منعهم. الآن يمكن أن تستجيب حكومتنا، "أنتم تقولون إننا نأخذ أموالكم ونساعد هؤلاء الإرهابيين، ولكن إذا كان الأمر كذلك لماذا يقومون بمهاجمتنا أيضا؟ "

قال والدي "من الواضح أن طالبان تتمتع بدعم قوى غير مرئي". ولكن ما يحدث ليس بسيطاً، وكلما أردت أن تفهم أصبح الأمر أكثر تعقيداً.

في ذلك العام، 2008، قامت الحكومة أيضاً بالإفراج عن صوفي محمد، مؤسس حركة طريق إنفاذ الشريعة الإسلامية، من السجن. وقيل إنه أكثر اعتدالاً من صهره فضل الله، وكان هناك أمل بأنه سيعقد اتفاق سلام مع الحكومة لفرض قوانين الشريعة في وادي سوات وتحريرنا من عنف طالبان. كان والدي يؤيد هذا. كنا نعلم أن هذا لن يكون نهاية المطاف، ولكن كان والدي يقول إنه إذا تم تطبيق الشريعة لدينا فإن طالبان لا يكون لديها شيء لتقاتل من أجله. ومن ثم سيضعون أسلحتهم ويعيشون مثل الرجال العاديين. قال : إذا لم يفعلوا ذلك فهذا من شأنه أن يكشفهم على حقيقتهم.

كان الجيش لا يزال يقوم بتصويب بنادقه على الجبال المطلة على مينجورا. كنا نستلقى على الأسّرة ونستمع لصوت البنادق طوال الليل بوم بوم. كانوا يتوقفون لمدة خمس أو عشر أو خمس عشرة دقيقة ثم يبدؤون مرة أخرى في اللحظة التي نغفو فيها . أحيانا نغطي أذاننا أو ندفن رؤوسنا تحت الوسائد، ولكن المدافع كانت قريبة جداً وكانت الضوضاء عالية جداً مما لا يسمح بحجبها. ومن ثم في صباح اليوم التالي، على شاشة التلفزيون، نسمع عن المزيد من حوادث القتل بواسطة طالبان، وأتساءل ماذا كان يفعل الجيش مع كل هذا الدوي الصادر من المدافع؛ ولماذا لا يستطيع حتى وقف البث اليومي على إذاعة الملا.

كان كل من الجيش وطالبان أقوياء. أحياناً لا تقل المسافة بين حواجز الطرق لكل طرف عن كيلومتر واحد في نفس الطريق الرئيسية. كانوا يوقفونا ولكن يبدو أنهم يتجاهلون وجود بعضهما البعض . كان أمراً لا يصدق. لا أحد يفهم لماذا لا تتم حمايتنا. كان الناس يقولون إنهما وجهان لعملة واحدة. وقال والدي إننا عامة الناس مثل القشة التي علقت بين اثنين من حجارة الطاحونة المائية . لكنه على الرغم من ذلك لم يكن خائفاً. قال: ينبغي علينا أن نستمر في الكلام بدون خوف.

أنا مجرد إنسانة، وعندما أسمع صوت المدافع كان قلبي يخفق بسرعة شديدة. أحيانا أكون خائفة جداً ولكن لا أقول شيئاً، ولا يعني أنني أود أن أتوقف عن الذهاب إلى المدرسة. لكن كان الخوف قوياً جدا وفي نهاية الأمر كان هذا هو الخوف الذي جعل الناس ينقلبون ضد شبانة. الإرهاب جعل قلوب الناس قاسية. هدمت طالبان القيم البشتونية والإسلامية على حد سواء.

حاولت إلهاء نفسي عن طريق قراءة كتاب "ستيفن هوكينغ" – *تاريخ موجز للزمن* ، الذي أجاب على الأسئلة الكبيرة مثل كيف بدأ الكون؟ وعما إذا كان الزمن قد يعود إلى الوراء. كان عمري أحد عشر عاما فقط، وبالفعل تمنيت أن يعود الزمن إلى الوراء.

نحن البشتون نعلم أن بذرة الانتقام لا تفسد أبداً، وعندما تفعل شيئاً خاطئاً سوف تواجه الموسيقى. ولكن متى يحدث ذلك؟ نحن نسأل أنفسنا باستمرار.

13

يـومـيـات غـول مـاكـاي

حدث ذلك خلال أحد تلك الأيام السوداء التي تلقى فيها والدي دعوة من صديقه عبد الحي كاكار، مراسل هيئة الإذاعة البريطانية التي يوجد مقرها في بيشاور، كان يبحث عن معلمة أو تلميذة لكتابة يوميات عن الحياة في ظل طالبان، أراد أن يظهر الجانب الإنساني للكارثة في وادي سوات .في البداية وافقت عائشة وهي الشقيقة الصغرى لمدام مريم، ولكن اكتشف والدها الأمر ورفض السماح لها بذلك قائلاً إنها مخاطرة كبيرة جداً.

عندما سمعت والدي يتحدث عن ذلك بالصدفة، قلت "لماذا لا أكون أنا؟" كنت أريد أن يعرف الناس ما كان يجري، قلت التعليم هو حقنا ، مثل حقنا في الغناء. أعطانا الإسلام هذا الحق وقال إن كل فتاة وفتى يجب أن يذهبا إلى المدرسة . يقول القرآن إننا يجب أن نطلب العلم ، وأن ندرس بجد ونتعلم أسرار عالمنا.

لم أكتب أبداً يوميات من قبل ولا أعرف كيف أبدأ . على الرغم من أنه كان لدينا جهاز كمبيوتر، كان هناك انقطاع متكرر للتيار الكهربائي، وكان هناك عدد قليل من الأماكن التي تتمتع بإمكانية الوصول إلى الإنترنت . لذا اتصل بي هاي كاكار في المساء على هاتف أمي المحمول . استخدم هاتف زوجته لحمايتنا حيث قال إن هاتفه الخاص يتم التنصت عليه من قبل أجهزة الاستخبارات. وقال إنه سيقوم بإرشادي ، سألني أسئلة عن يومي، وطلب مني أن أحكي له حكايات صغيرة أو أن أتحدث عن أحلامي . كنا نتحدث لمدة نصف ساعة أو خمس وأربعين دقيقة باللغة الأردية، على الرغم من أن كلانا من البشتون، لأنه كان يتعين أن تظهر اليوميات باللغة الأردية، وأراد أن يكون الصوت حقيقياً قدر الإمكان . ثم قام بكتابة كلماتي التي ستبث مرة في الأسبوع على موقع (بي بي سي) باللغة الأوردية .أخبرني عن "آن فرانك"، وهي فتاة يهودية تبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً اختبأت من النازيين مع عائلتها في أمستردام خلال الحرب. أخبرني أنها احتفظت بمذكرات عن حياتهم القاسية، وعن الكيفية التي يمضون بها أيامهم وعن مشاعرها الخاصة، كان الأمر محزناً جداً حيث تعرضت الأسرة في نهاية المطاف للخيانة وتم اعتقالهم وتوفيت آن في معسكر الاعتقال عندما كان عمرها خمسة عشر عاما فقط، في وقت لاحق تم نشر يومياتها وكان سجلاً فعالاً جداً.

قال لي هاي كاكار إنه من الخطر استخدام اسمي الحقيقي وأعطاني اسماً مستعاراً هو "غول ماكاي"، الذي يعني "زهرة الحنطة"، وهو اسم البطلة في قصة شعبية بشتونية إنها من طراز قصة روميو وجولييت حيث تلتقي غول ماكاي وموسى خان في المدرسة ويقعان في الحب .لكنهما كانا من قبيلتين مختلفتين لذلك تسبب حبهما في حرب، ومع ذلك، خلافا لمسرحية شكسبير، لم تنتهي قصتهم بمأساة . استخدمت غول ماكاي القرآن لتعليم شيوخ قبيلتها أن تلك الحرب سيئة، وأنهم في نهاية المطاف قد أوقفوا القتال وسمحوا للعاشقين بالزواج.

ظهر أول تسجيل لمذكراتي يوم 3 يناير 2009 تحت عنوان "أنا خائفة" رأيت حلماً رهيباً الليلة الماضية مملوءاً بطائرات الهليكوبتر العسكرية وطالبان. وقد انتابتني هذه الأحلام منذ إطلاق العملية العسكرية في وادي سوات كتبت عن خوفي من الذهاب إلى المدرسة بسبب قرار طالبان، وكنت أنظر خلفي في كل وقت . كما أنني وصفت أيضاً شيئاً حدث لي وأنا في طريقي من المدرسة إلى المنزل. سمعت من خلفي رجلاً يقول "سوف أقتلك" . أسرعت الخطى وبعد حين نظرت إلى الوراء لأرى ما إذا كان يتتبعني لحسن حظي رأيت أنه كان يتحدث على هاتفه، فلا بد أنه كان يتحدث إلى شخص آخر "

كان من المثير أن أرى كلماتي على الموقع .في البداية كنت خجولة قليلاً ولكن بعد حين عرفت الأشياء التي يريد مني هاي كاكار أن أتحدث عنها، وأصبحت أكثر ثقة .هو يحب المشاعر الشخصية وما سماه "بجملي القاسية " وكذلك الحياة الأسرية اليومية الممزوجة بإرهاب حركة طالبان.

كتبت الكثير عن المدرسة، حيث كانت هي شغلنا الشاغل .أنا أحب زيي المدرسي باللون الأزرق الملكي، ولكنا نصحنا بارتداء ملابس عادية بدلاً من ذلك وإخفاء كتبنا تحت شالاتنا . كان أحد المقتطفات بعنوان (**لا ترتدوا الملابس الملونة**). وقد كتبت داخله "في يوم من الأيام كنت أستعد للذهاب إلى المدرسة وكنت على وشك ارتداء زيي المدرسي عندما تذكرت نصيحة مدير مدرستنا، لذلك قررت في ذلك اليوم ارتداء ثوبي الوردي المفضل."

كتبت أيضاً عن البرقع؛ عندما كنا صغاراً، كنا نحب البرقع لأن ارتداءه كان أمراً رائعاً . ولكن عندما يفرض عليك لبسه، فإن الأمر يختلف، كما أنه يجعل المشي صعبا! كان أحد مواد يومياتي حول واقعة حدثت عندما كنت في الخارج أتسوق مع أمي وابن عمي في تشاينا بازار " سمعنا إشاعة مفادها أنه في يوم من الأيام سقطت امرأة كانت ترتدي البرقع الذي يشبه كرة الريشة عندما حاول رجل أن يساعدها على النهوض رفضت وقالت" .لا تساعدني يا أخي، لأن هذا سيجلب سعادة غامرة لفضل الله." وعندما دخلنا المحل الذي نحن

ذاهبون إليه، ضحك صاحب المتجر، وقال لنا إنه قد راوده تفكير مليء بالخوف بأننا قد نكون انتحاريين، حيث أن العديد من الانتحاريين يرتدون البرقع ."

في المدرسة بدأ الناس يتحدثون عن اليوميات . حتى أن إحدى الفتيات قامت بطباعة نسخة منها وأحضرتها لعرضها لوالدي.

قال بابتسامة ذات مغزى " إنها جيدة للغاية".

أردت أن أقول للناس إنها أنا، ولكن قال لي مراسل (بي بي سي) أن لا أخبرهم لأن ذلك يمكن أن يكون خطيراً، أنا لا أفهم لماذا، لأنني مجرد طفلة ومن الذي يجرؤ على مهاجمة طفلة؟ ولكن بعض أصدقائي يعرفون حوادث حدثت في هذا الشأن . وأنا قمت بكشف اللعبة تقريباً في أحد التسجيلات عندما قلت: (أمي تحب اسمي المستعار غول ماكاي وقالت لوالدي وهي تمزح أنه يتعين عليهما تغيير اسمي . . .أنا أيضاً أحب الاسم لأن اسمي الحقيقي يعني "المحزونة ").

تلقت مذكرات غول ماكاي اهتماما أبعد من ذلك . قامت بعض الصحف بطباعة مقتطفات منها .حتى أن هيئة الإذاعة البريطانية عملت تسجيلاً منها باستخدام صوت فتاة أخرى، وبدأت أدرك أن التعابير والكلمات التي تنبثق منها قد تكون أقوى بكثير من المدافع الرشاشة أوالدبابات أو المروحيات .كنا نعلم كيفية النضال .وكنا نعلم مدى قوتنا عندما نتكلم.

توقف بعض من مدرسينا عن المجيء إلى المدرسة ، وقال أحدهم إنه جاءه أمر من الملا فضل الله بالمساعدة في بناء مركزه في إمام درعي . وقال آخر إنه رأى جثة مقطوعة الرأس على قارعة الطريق وأنه لن يخاطر بحياته بالعمل في التدريس، وقد خاف كثير من الناس. قال جيراننا إن طالبان كانوا يأمرون الناس بالكشف عن بناتهم غير المتزوجات في المسجد حتى يتم تزويجهن، ربما لمتشددين.

في بداية يناير 2009 كانت هناك فقط عشر فتيات في صفي، في السابق كانت هناك سبع وعشرون فتاة. وغادرت العديد من صديقاتي الوادي حتى يستطعن مواصلة تعليمهن في بيشاور، ولكن والدي أصر على عدم مغادرتنا. وقال "أعطتنا سوات الكثير. يجب أن نكون أقوياء في هذه الأيام الصعبة من أجل الوادي".

في إحدى الليالي ذهبنا جميعاً لتناول العشاء في منزل صديق والدي الدكتور أفضل، الذي كان يدير إحدى المستشفيات. بعد العشاء، عندما كان الطبيب يقلنا بسيارته إلى المنزل، رأينا رجالاً ملثمين من حركة طالبان على جانبي الطريق يحملون البنادق. شعرنا بالهلع. كان مستشفى الدكتور أفضل في منطقة تم الاستيلاء عليها من قبل حركة طالبان. إن إطلاق النار المستمر وحظر التجول جعلا من المستحيل أن يقوم المستشفى بعمله، لذلك قام بنقل المستشفى إلى باريكوت. كانت هناك ضجة، وقد دعا المتحدث باسم طالبان مسلم خان

الطبيب لفتحها. وقد طلب رأي والدي. أخبره والدي : "لا تقبل الأشياء الجيدة من الناس السيئين". مستشفى محمي من قبل طالبان ليست فكرة جيدة لذلك رفض فتحها.

كان الدكتور أفضل يسكن قريب منا، لذلك عندما وصلنا بسلام إلى المنزل، أصرّ والدي على العودة معه، فربما تم استهدافه من جانب حركة طالبان. عند عودته مع والدي، سأل الدكتور أفضل والدي بعصبية : "ماهي الأسماء التي يمكن أن نعطيها لهم إذا أوقفونا؟

أجاب والدي: "أنت الدكتور أفضل وأنا ضياء الدين يوسفزاي" هؤلاء الناس دمويون. نحن لم نفعل شيئاً خطأ. لماذا يجب أن نغير أسماءنا - هذا ما يفعله المجرمون". لحسن الحظ أن رجال طالبان قد اختفوا. تنفسنا الصعداء عندما اتصل والدي هاتفيا ليقول إنهم لم يصابوا بأذى.

أيا كان الأمر لم أكن أريد أن استسلم. لكن كان الموعد النهائي لطالبان يقترب، تعين على الفتيات التوقف عن الذهاب إلى المدرسة. كيف يمكنهم أن يوقفوا أكثر من خمسين ألف فتاة من الذهاب إلى المدرسة في القرن الحادي والعشرين؟ مازلت آملاً أن شيئاً ما سيحدث وأن المدارس ستبقى مفتوحة. ولكن في النهاية كان الموعد النهائي يداهمنا. قررنا أن يكون جرس مدرسة خوشال هو آخر شيء يتوقف رنينه. أيضا تزوجت مدام مريم حتى تتمكن من البقاء في سوات .لقد انتقلت عائلتها إلى كراتشي للابتعاد عن الصراع وكامرأة، لا يمكنها أن تعيش لوحدها.
وكان يوم الأربعاء 14 يناير هو اليوم الذي أغلقت فيه مدرستي، وعندما استيقظت في ذلك الصباح رأيت كاميرات التلفزيون في غرفة نومي . كان أحد الصحفيين الباكستانيين ويدعى "أشرف عرفان" يتتبعني هنا وهناك، حتى عندما كنت أصلي وأنظف أسناني.

يمكنني أن أقول إن والدي كان في مزاج سيئ . كان أحد أصدقائه قد أقنعه بالمشاركة في فيلم وثائقي لصالح الموقع الإلكتروني لجريدة نيويورك تايمز ليظهر للعالم ما كان يحدث لنا . قبل أسابيع قليلة ، كنا قد التقينا الصحفي التلفزيوني الأمريكي آدم إليك في بيشاور . كان لقاءً مسلياً لأنه كان قد أجرى مقابلة مع والدي باللغة الإنجليزية منذ فترة طويلة وأنا لم أقل كلمة واحدة .ثم أنه سئل عما إذا كان يمكن أن يتحدث معي وبدأ بطرح الأسئلة مستخدماً عرفان كمترجم. بعد حوالي عشر دقائق من إجراء المقابلة أدرك من تعابير وجهي أنني أستطيع فهمه تماماً. فسألني" أنت تتحدثين الإنجليزية؟ ."

فأجبته "نعم، كنت أقول فقط هناك خوف في قلبي".

اندهش آدم وسأل عرفان ووالدي: "ما خطبكم أيها الناس؟" هي تتحدث الإنجليزية أفضل منكما وتقومان بالترجمة لها" !فضحكنا جميعاً .

كانت الفكرة الأولية للفيلم الوثائقي هي متابعة والدي في اليوم الأخير للمدرسة، ولكن في نهاية الاجتماع سألني عرفان : ماذا ستفعلين إذا جاء اليوم الذي لا يمكنك فيه العودة إلى الوادي والمدرسة؟ قلت إن هذا لن يحدث. أصر على ذلك حينذاك وبدأت في البكاء. أعتقد أن آدم قد قرر بعد ذلك أن عليه التركيز عليَ.

لا يستطيع آدم المجيء إلى وادي سوات لأن ذلك كان يشكل خطورة للأجانب .عندما وصل عرفان والمصور إلى مينجورا قال عمي الذي كان يقيم معنا مراراً وتكراراً إنه من الخطورة وجود كاميرات في منزلنا. وكان والدي يقول لهم باستمرار أن يخفوا الكاميرات. ولكنهم كانوا قد قطعوا مسافة طويلة وأنه من الصعب علينا نحن البشتون رفض الضيافة . بالإضافة إلى ذلك ، كان والدي يعرف أن هذا يمكن أن يكون بوقاً لنا إلى العالم الخارجي . وقد أخبره صديقه أن ذلك من شأنه أن يحدث تأثير أكثر بكثير من تأثير التجوال ذهاباً وإياباً .

لقد أجريت الكثير من المقابلات التلفزيونية واستمتعت بالحديث في الميكروفون لدرجة أن صديقاتي كن يمازحنني . لكني لم أفعل أي شيء من هذا القبيل.. قال لي عرفان " كوني طبيعية" . لم يكن الأمر سهلاً بوجود كاميرا موجهة إليّ في كل مكان أذهب إليه حتى عندما أقوم بتنظيف أسناني. عرضت عليهم الزي الذي لن أتمكن من ارتدائه وقلت لهم إني خائفة فإذا ضبطني رجال طالبان وأنا ذاهبة إلى المدرسة فسيلقون الحمض الحارق على وجهي كما فعلوا للفتيات في أفغانستان.

عقدنا اجتماعاً خاصاً في صباح ذلك اليوم الأخير، ولكن كان من الصعب أن نسمع ضجيج المروحيات في سماء المنطقة، وتحدث البعض منا علناً عما كان يحدث في الوادي. رن الجرس لآخر مرة، ثم أعلنت مدام مريم عطلة الشتاء. ولكن خلافاً للسنوات الأخرى لم يعلن عن موعد بدء الفصل الدراسي التالي . وعلى الرغم من ذلك، لا يزال بعض المعلمين يعطونا الواجبات المنزلية. في فناء المدرسة قمت بمعانقة جميع صديقاتي. نظرت إلى لوحة الشرف وتساءلت عما إذا كان اسمي سيظهر عليها مرة أخرى. كان من المقرر أن تكون الامتحانات في مارس/ آذار لكن كيف يمكن أن يتم ذلك ؟ لا يهم أن تأتي في المركز الأول إذا كنت لا تستطيع الدراسة على الإطلاق .عندما يقوم شخص ما بأخذ أقلامك ستدرك تماما مدى أهمية التعليم.

قبل أن يغلق باب المدرسة نظرت خلفي كما لو أنها المرة الأخيرة على الإطلاق التي سأكون فيها في المدرسة. كانت هذه اللقطة الختامية لأحد أجزاء الفيلم الوثائقي، في الواقع ذهبت الى الداخل. لم أرد أنا وصديقاتي أن ينتهي ذلك اليوم لذلك قررنا البقاء لفترة أطول ذهبنا إلى المدرسة الابتدائية؛ حيث كانت هناك مساحة واسعة للجري ولعب عسكر وحرامية. ثم لعبنا لعبة المانجو مانجو، حيث نقوم برسم دائرة ونغني ، ثم عندما تتوقف الأغنية يجب على كل

شخص أن يتسمر في مكانه (ينقطع عن الحركة) كل من يتحرك أو يضحك يعتبر خارج اللعبة.

وصلنا إلى البيت من المدرسة في وقت متأخر من ذلك اليوم. عادة ما نغادر المدرسة نحو الساعة الواحدة مساءً ولكن في ذلك اليوم بقينا حتى الثالثة مساء. دار نقاش بيني و منيبة حول شيء سخيف جداً لا أستطيع أن أتذكر ما هو. لم تصدق صديقاتنا ذلك وقلن "أنتما دائما تتجادلان عندما تكون هناك مناسبة هامة.!" لم تكن طريقة جيدة للوادع.

قلت لصناع الفيلم الوثائقي، "إنهم لا يستطيعون منعي .سأواصل دراستي حتى إذا كان ذلك في المنزل أو المدرسة أو في أي مكان آخر .هذا هو مطلبنا من العالم – إنقاذ مدارسنا، إنقاذ باكستان، وإنقاذ سوات."

عندما وصلت إلى المنزل، بكيت وبكيت. لم أكن أريد أن أتوقف عن التعلم. كان عمري أحد عشر عاما فقط ولكني شعرت كما لو كنت قد فقدت كل شيء. كنت قد أخبرت الجميع في صفي الدراسي أن طالبان سوف لن تستطيع إنجاز ذلك. قلت "إنهم مثل سياسيينا تماما – يقولون الكلام لكنهم لا يفعلون شيئاً" ولكن بعد ذلك استمروا وقاموا بإغلاق مدرستنا وشعرت بالحرج .لم أتمكن من السيطرة على نفسي .كنت أبكي، كانت والدتي تبكي ولكن أصر والدي قائلاً ، "سوف تذهبين إلى المدرسة."

بالنسبة له إغلاق المدارس أيضاً يعني فقدان العمل. ستتم إعادة فتح مدرسة البنين بعد عطلة الشتاء ولكن فقدان مدرسة البنات يمثل انخفاضاً كبيراً في دخلنا. ولم يتم دفع أكثر من نصف الرسوم المدرسية في تاريخ الاستحقاق، وقضى والدي اليوم الأخير في مطاردة المال لدفع الإيجار وفواتير المياه والكهرباء ورواتب المعلمين.

في تلك الليلة كان الهواء مملوءاً برائحة بارود المدفعية وقد استيقظت ثلاث مرات .كان كل شيء قد تغير في صباح اليوم التالي. بدأت أفكر أنه ربما ينبغي عليّ أن أذهب إلى بيشاور أو إلى الخارج أو ربما يمكنني أن أطلب من مدرسينا إنشاء مدرسة سرية في بيتنا، كما فعل ذلك بعض الأفغان أثناء حكم طالبان . بعد ذلك ذهبت إلى العديد من محطات الراديو وقنوات التلفزيون. قلت "يستطيعون منعنا من الذهاب إلى المدرسة ولكنهم لا يستطيعون منعنا من التعلم". كنت متفائلة ولكني كنت أشعر بقلق ينتاب قلبي. ذهبت أنا ووالدي إلى بيشاور وزرنا العديد من الأماكن لاطلاع الناس بما كان يحدث. تحدثت عن مفارقات طالبان حيث يريدون معلمين وطبيبات للنساء ولكن لا يسمحون للفتيات بالذهاب إلى المدرسة للتأهل لهذه الوظائف.

في إحدى المرات قال مسلم خان يجب على الفتيات عدم الذهاب إلى المدرسة وتعلم الطرق الغربية .هذا الكلام يأتي من رجل عاش فترة طويلة في أمريكا ! ويصر على أنه سيكون هناك نظام تعليم خاص . سأل والدي " ماذا سيستخدم مسلم خان بدلاً من سماعة الطبيب و ميزان الحرارة؟" . هل هناك أية أدوات شرقية تستخدم في علاج المرضى؟ طالبان ضد التعليم بسبب اعتقادهم أنه عندما يقرأ الطفل كتاباً أو يتعلم اللغة الإنجليزية أو يدرس العلوم فإنه سوف يصبح غربياً.

ولكني قلت، "التعليم هو التعليم. ينبغي لنا أن نتعلم كل شيء ومن ثم نختار أي مسار نتبعه". التعليم ليس شرقياً ولا غربياً، إنه بشرياً.

كانت والدتي تقول لي إنه يتوجب عليّ إخفاء وجهي عندما أتحدث إلى وسائل الإعلام لأنه في مثل عمري يجب أن أرتدي البردة، وكانت خائفة على سلامتي. لكنها لم تمنعني أبداً من فعل أي شيء. كان ذلك الزمن هو زمن الرعب والخوف. في أحيان كثيرة كان الناس يقولون إن طالبان قد يقتلون والدي ولكن ليس أنا. كانوا يقولون "مالالا هي مجرد طفلة" " ، وأن طالبان لا تقتل الأطفال ".

لكن جدتي لم تكن على يقين من ذلك. كلما رأتني جدتي أتحدث على شاشة التلفزيون، أو أغادر المنزل كانت تدعو ، ' يا الله أجعل مالالا مثل بنازير بوتو ولكن لا تعطيها حياة بينظير القصيرة ".

بعد أن أغلقت مدرستي أبوابها كنت أواصل كتابة المذكرات. بعد أربعة أيام من الحظر المفروض على مدارس الفتيات، تم تدمير خمس مدارس أخرى. كتبت "أنا في غاية الدهشة ، "لأن هذه المدارس قد أغلقت لماذا يحتاجون أيضا لتدميرها؟ لم يذهب أحد إلى المدرسة بعد الموعد النهائي الذي حددته حركة طالبان. لا يفعل الجيش أي شيء حيال ذلك. إنهم يجلسون في مخابئهم في أعلى التلال. يذبحون الماعز ويستمتعون بأكلها"، كتبت أيضاً عن الناس الذين يذهبون لمشاهدة عقوبة الجلد التي يعلن عنها في إذاعة الملا ، وحقيقة اختفاء رجال الشرطة تماماً عن الأنظار.

في أحد الأيام تلقينا مكالمة من أمريكا، من طالبة في جامعة ستانفورد. كان اسمها شيزا شاهد وكانت قد جاءت من إسلام آباد. وكانت قد شاهدت الفيلم الوثائقي الخاص بنيويورك تايمز إلغاء صف دراسي في وادي سوات وقامت بتتبع أخبارنا. حينذاك أدركنا قوة وسائل الإعلام، وأنها أصبحت دعماً كبيراً لنا. كاد والدي أن ينفجر من الفخر بخصوص الكيفية التي ظهرت أنا بها في الفيلم الوثائقي. قال لآدم إليك "انظروا إليها". " ألا تعتقد أنها هبة من السماء؟ يمكن أن يكون الآباء مصدر حرج كثير.

أخذنا آدم إلى إسلام آباد. وكانت هي المرة الأولى التي أزور فيها المدينة. وكانت إسلام آباد مكاناً جميلاً يضم منازل بيضاء ذات طابق واحد وطرق واسعة، على الرغم من أنها لا تتمتع بأي من الجمال الطبيعي لسوات. رأينا المسجد الأحمر حيث حدث الحصار ، وشارع الدستور الواسع الذي يؤدي إلى مباني البرلمان ذات الأعمدة، والمطلية باللون الأبيض ورئاسة الجمهورية، حيث يقيم فيها الآن زرداري[21]. وكان الجنرال مشرف في المنفى في لندن.

ذهبنا إلى المتاجر، حيث اشتريت الكتب المدرسية واشترى لي آدم أقراص (الدي في دي) التي تحتوي البرامج التلفزيونية الأميركية مثل "بيتي القبيحة"، وهو يدور حول الفتاة ذات الأكتاف الكبيرة والقلب الكبير. أحببت ذلك، وحلمت بالذهاب في يوم من الأيام إلى نيويورك والعمل في إحدى المجلات . زرنا متحف لوك فيرزا، وكانت سعادتي أن نحتفل بتراثنا الوطني مرة أخرى. تم إغلاق متحفنا في وادي سوات. على الدرج في الخارج كان هناك رجل عجوز يبيع الفوشار. وكان مثلنا من البشتون، وعندما سأله والدي ما إذا كان من إسلام آباد، أجاب: "هل تعتقد أن إسلام آباد يمكن أن تكون لمثلنا نحن البشتون في أي وقت؟" وقال إنه جاء من مهمند، إحدى المناطق القبلية، لكنه اضطر إلى الفرار بسبب إحدى العمليات العسكرية. رأيت الدموع في عيني والدي.

كان العديد من المباني محاطة بالكتل الخرسانية، وكانت هناك نقاط تفتيش للمركبات القادمة للوقاية من التفجيرات الانتحارية. عندما سقطت حافلتنا في حفرة في طريق العودة استيقظ أخي خوشال، الذي كان نائماً، وهو يرتعش . سأل "هل كان ذلك انفجار قنبلة؟. كان ذلك الخوف الذي ملأ حياتنا اليومية. أي اضطراب أو ضوضاء مهما صغر حجمها يمكن أن تكون نتيجة قنبلة أو إطلاق نار.

خلال رحلاتنا القصيرة نسينا مشاكلنا في وادي سوات. ولكن عندما دخلنا وادينا مرة أخرى عدنا للتهديدات والخطر. على الرغم من ذلك، كان وادي سوات هو موطننا وأننا لسنا على استعداد لنتركه.

أول شيء رأيته هناك في مينجورا عندما فتحت خزانة ثيابي هو زيي المدرسي، وحقيبة المدرسة وطقم أدوات الهندسة. شعرت بالحزن لذلك كانت الزيارة لإسلام آباد عبارة عن استراحة جميلة، ولكن هذا واقع بلدي الآن.

[21] **آصف علي زرداري** الرئيس الحادي عشر لباكستان وهو أرمل بينظير بوتو، التي خدمت مرتين كرئيسة وزراء باكستان

14

نـمـوذج الـسلام الـمضحك

عندما أعيد فتح مدارس إخوتي بعد العطلة الشتوية، قال خوشال إنه يفضل البقاء في المنزل مثلي. أنا مصابة بالنحس، وقلت له 'أنت لا تدرك كم أنت محظوظ! ". من الغريب أن لا يذهب المرء إلى المدرسة. ونحن لم يكن لدينا حتى جهاز تلفزيون، فقد قام أحدهم بسرقته عندما كنا في إسلام آباد، وقد استخدم سلم الهروب المخصص لوالدي في عملية الدخول إلى المنزل.

أعطاني أحدهم نسخة من الخيميائي من تأليف "باولو كويلو"، وهي حكاية رمزية تدور حول راعي صبي يسافر إلى الأهرامات بحثاً عن كنز، حيث كان قد اعتاد على قضاء جل وقته في المنزل. أحببت ذلك الكتاب وقرأته عدة مرات. وكان يقول "عندما تريد شيئاً يتعاون كل الكون على عدم مساعدتك في سبيل تحقيق ذلك، "لا أعتقد أن باولو كويلو قد التقى طالبان أو سياسيينا عديمي الجدوى.

الذي لم أكن أعرفه هو أن هاي كاكار كان يعقد محادثات سرية مع فضل الله وقادته. وكان قد تعرف عليهم في المقابلات، وحثهم على إعادة النظر في الحظر المفروض على تعليم الفتيات.

قال لفضل الله " اسمع، مولانا ". "لقد كنت تقتل الناس، كنت تذبح الناس، وكنت تقطع رؤوس الناس، أنت دمرت المدارس ومع ذلك لم يكن هناك احتجاج في باكستان. ولكن عندما حظرت تعليم الفتيات ، تحدث الناس بدون خوف . حتى وسائل الإعلام الباكستانية، التي كانت متساهلة معك حتى الآن، قد غضبت ".

لقد نجحت الضغوط من جميع أنحاء البلاد، وقد وافق فضل الله على رفع الحظر المفروض على الفتيات حتى سن عشر سنوات – السنة الرابعة. كنت في السنة الخامسة وتظاهر البعض منا بأننا أصغر سناً مما نحن عليه. بدأنا الذهاب إلى المدرسة مرة أخرى، وكنا نرتدي ملابس عادية وكنا نخبئ كتبنا تحت شالاتنا. كان الأمر محفوفاً بالمخاطر لكنه كان طموحي الوحيد آنذاك. كنا محظوظين جدا نتيجة لشجاعة مدام مريم التي قاومت الضغوط للتوقف عن العمل. وكانت قد عرفت والدي منذ أن كان عمرها عشرة أعوام وهما يثقان في بعضها تماماً – وكانت تشير إليه لينهي كلامه عندما يتحدث لفترة طويلة جداً، وكان ذلك يحدث في كثير من الأحيان!

قالت لنا "إن المدرسة السرية هي احتجاجنا الصامت ".

أنا لم أكتب أي شيء عن ذلك في مذكراتي. إذا قبضوا علينا كانوا سيجلدوننا أو حتى يقتلوننا كما فعلوا بشبانة. بعض الناس يخافون من الأشباح، وبعض العناكب أو الثعابين – في تلك الأيام كنا نخاف من إخواننا من بني البشر.

في الطريق إلى المدرسة كنت أرى في بعض الأحيان رجال طالبان بقبعاتهم وشعرهم الطويل القذر. وكانوا في معظم الأحيان يخفون وجوههم. " كانوا صعبي المراس، ومظهرهم رهيب. وكانت شوارع مينجورا خالية تماماً من السكان، حيث غادر ثلث السكان الوادي. قال والدي حقاً لا تستطيع أن تلوم الناس على المغادرة لأن الحكومة لا قوة لها. الآن هناك اثنا عشر من قوات الجيش في المنطقة – أربعة أمثال طالبان حسب تقديراتهم - علاوة على الدبابات و طائرات الهليكوبتر والأسلحة المتطورة. ومع ذلك سيطرت طالبان على سبعين في المائة من وادي سوات.

بعد عودتنا إلى المدرسة بحوالي أسبوع، في 16 شباط / فبراير عام 2009، كنا قد استيقظنا في إحدى الليالي على صوت إطلاق النار. حسب التقاليد كان أفراد شعبنا يطلقون نيران البنادق احتفالاً بالمواليد الجدد وحفلات الزفاف، ولكن حتى ذلك قد توقف خلال النزاع. لذلك في البداية كنا نظن أننا في خطر. ثم سمعنا الخبر. كان إطلاق النار في احتفال. فقد تم التوصل الى اتفاق سلام بين طالبان وحكومة الإقليم، الذي كان تحت سيطرة حزب عوامي الوطني، وليس الملالي. وكانت الحكومة قد وافقت على فرض قوانين الشريعة في جميع أنحاء وادي سوات وفي المقابل يقوم المسلحون بوقف القتال. وافقت طالبان على هدنة لمدة عشرة أيام، وكبادرة سلام، قامت بإطلاق سراح أحد مهندسي الهاتف الصينيين الذي تم اختطافه قبل ستة أشهر.

كنا سعداء أيضاً – كنت أنا ووالدي نتحدث في كثير من الأحيان لصالح أي اتفاق سلام - ولكن كنا نتساءل كيف سينجح. كان الناس يأملون في أن يهدأ رجال طالبان، ويعودوا إلى ديارهم ويعيشوا كمواطنين مسالمين. لقد اقتنعوا بأنفسهم بأن الشريعة في وادي سوات ستكون مختلفة من النسخة الأفغانية – ستذهب فتياتنا إلى المدارس وأنه لن تكون هناك شرطة آداب. ستكون سوات هي سوات فقط مع نظام عدالة مختلف. أردت أن أصدق ذلك ولكن كنت قلقة. كنت أفكر، بالتأكيد يعتمد كيفية نجاح النظام على الناس الذين يشرفون عليه، وهي حركة طالبان.

كان من الصعب أن نصدق أن كل شيء قد انتهى! قتل أكثر من ألف شخص من الناس العاديين والشرطة. وتم حبس النساء في البردة وتفجير المدارس والجسور وإغلاق الشركات.

لقد عانينا من المحاكم العامة الوحشية والعدالة القاسية، وكنا نعيش في حالة دائمة من الخوف. والآن يجب أن يتوقف كل شيء.

خلال وجبة الإفطار اقترحت على إخوتي أنه علينا أن نتحدث عن السلام الآن، وليس الحرب. كما كان الحال دائماً ، تجاهلوني وواصلوا اللعب بألعابهم الحربية. كان لخوشال لعبة عبارة عن طائرة هليكوبتر ولأتال مسدس مصنوع من الورق، يصرخ أحدهم، "اطلق النار!" والآخر،" يأخذ وضعية. "لم أكن مهتمة بذلك. ذهبت ونظرت إلى زيي المدرسي، سعيدة بأن أكون قادرة على ارتدائه علنا في القريب العاجل، وجاءت رسالة من مديرة المدرسة أن الامتحانات ستجرى في الأسبوع الأول من شهر مارس. لقد حان الوقت لأعود إلى كتبي.

لم يدم حماسنا طويلاً، فبعد يومين فقط كنت أجلس على سطح فندق تاج محل لإجراء مقابلة حول اتفاق السلام مع مراسل صحفي معروف يدعى حامد مير، حينها وصلتنا أنباء عن مقتل مراسل تلفزيوني آخر كنا نعرفه يدعى موسى خان خيل، وكان في كثير من الأحيان يجري مقابلات مع والدي. في ذلك اليوم كان يقوم بتغطية مسيرة السلام التي يقودها صوفي محمد[22]. لم تكن مسيرة في الواقع ولكن كانت موكباً من السيارات. بعد ذلك عثر على جثة موسى خان في مكان قريب. وكان قد تم إطلاق النار عليه عدة مرات وقطعت حنجرته جزئياً. وكان عمره ثمانية وعشرين عاماً.

شعرت والدتي بالحزن عندما أخبرناها بالحادثة، وقد آوت إلى فراشها وهي تذرف الدموع. وقالت إنها قلقة من أن العنف قد عاد إلى الوادي بهذه السرعة بعد اتفاق السلام. تساءلت "هل كان الاتفاق مجرد وهم؟.

بعد بضعة أيام، في 22 شباط/ فبراير ، تم الإعلان عن "وقف إطلاق نار دائم" بواسطة نائب المفوض سيد جاويد في نادي الصحافة في مينجورا بوادي سوات . وناشد جميع أهالي وادي سوات بالعودة . ومن ثم أكد المتحدث باسم طالبان مسلم خان أنهم قد اتفقوا على وقف إطلاق النار لأجل غير مسمى. سيقوم الرئيس زرداري بتوقيع اتفاق السلام وتحويله إلى قانون. وافقت الحكومة أيضاً على دفع تعويضات لأسر الضحايا.

كان الجميع في سوات مبتهجين، ولكني شعرت أنني الأسعد لأن ذلك يعني إعادة فتح المدرسة كما ينبغي . قالت حركة طالبان يمكن للبنات الذهاب إلى المدرسة بعد اتفاق السلام، ولكن ينبغي أن يكن محجبات ومغطيات. قلنا حسناً، إذا كان هذا ما تريدون ، طالما نستطيع أن نعيش حياتنا.

---

[22] هو مؤسس تحريك إنفاذ الشريعة المحمدية، وهي حركة مسلحة باكستانية تسعى إلى تطبيق الشريعة في باكستان وتعمل بالأساس في منطقه دير وسوات ومالاكند

لم يكن الجميع راضين عن الاتفاق. كان حلفاؤنا الأمريكيون غاضبين. قالت هيلاري كلينتون ، وزيرة خارجية الولايات المتحدة "أعتقد أن الحكومة الباكستانية تتنازل بشكل أساسي لطالبان والمتطرفين". وكان الأمريكيون قلقين من أن الاتفاق يعني الاستسلام. وكتبت صحيفة دون الفجر الباكستانية في افتتاحيتها أن الاتفاق أرسل "إشارة كارثية - حارب الدولة عسكرياً و سوف تعطيك ما تريد وتحصل في المقابل على لا شيء ".

لكن أياً من هؤلاء الناس لم يكن مضطراً للعيش هنا. كنا في حاجة للسلام أيّا كان الشخص الذي يجلبه. في حالتنا كان من يقف وراء ذلك مقاتل أبيض اللحية يدعى صوفي محمد. أقام "معسكر السلام" في دير وجلس هناك في مسجدنا الشهير "تبليغ مركز" مثل مالك أرضنا. كان هو الضامن بأن رجال طالبان سيلقون أسلحتهم وسيكون هناك سلام في الوادي. كان الناس يزورونه لتقديم الولاء له وتقبيل يده لأنهم تعبوا من الحرب والتفجيرات الانتحارية.

توقفت عن كتابة يومياتي في مارس، حيث اعتقد هاي كاكار أن ليس هناك شيء كثير يقوله . ولكن بالنسبة للرعب الذي نعاني منه لم تتغير الأشياء كثيراً. إذا كان هناك شيء هو أن طالبان أصبحت أكثر همجية. هم أصبحوا الآن الإرهابيين المقبولين لدى الدولة. أصبنا بخيبة أمل وإحباط. وكان اتفاق السلام مجرد سراب. في إحدى الليالي نظمت حركة طالبان ما نسميه مسيرة العلم قرب شارعنا، وقامت بتسيير دوريات في الطرق وهم يحملون البنادق والعصي كما لو كانوا جيشاً.

إنهم ما زالوا يقومون بدوريات في تشاينا بازار. في يوم من الأيام . ذهبت والدتي للتسوق مع ابنة عمي التي كانت ستتزوج وترغب في شراء أشياء لزفافها ، اقترب منهما أحد رجال طالبان واعترض طريقهما. وقال لهما" إذا رأيتكما مرة أخرى ترتديان الوشاح وليس البرقع سوف أضربكما". كانت والدتي لا تخاف بسهولة وظلت رابطة الجأش، قالت له والدتي "نعم، نحن موافقون، سوف نرتدي البرقع في المستقبل"، كانت أمي تغطي رأسها دائماً ولكن لم يكن البرقع جزءاً من تقاليد البشتون.

سمعنا أيضاً أن طالبان هاجمت صاحب محل لمستحضرات التجميل لوجود امرأة بدون محرم في متجره كانت تتطلع إلى أحمر شفاه . قالوا له "توجد لافتة في السوق تقول غير مسموح بتواجد النساء في أي محل وهن غير مصحوبات من قبل أحد أقاربهن الذكور، لقد تحديتنا". وقد تعرض للضرب المبرح ولم يتدخل أي أحد لمساعدته.

في يوم من الأيام رأيت والدي وأصدقاءه يشاهدون شريط فيديو على هاتفه، كان مشهداً مروعاً، كانت هناك مراهقة ترتدي البرقع الأسود وسروالاً أحمر وكانت مستلقية على الأرض ويتم جلدها في وضح النهار من قبل رجل ملتح يرتدي عمامة سوداء . "توقف من فضلك!" كانت تتوسل إليه بلغة البشتو بين الصراخ والأنين مع كل ضربة "بسم الله، أنا أموت"!

بإمكانك سماع صراخ رجال طالبان "أمسكها . أمسك يديها . في مرحلة من المراحل خلال الجلد انزلق البرقع وتوقفوا لحظة لتعديله ثم واصلوا ضربها. جلدوها أربعة وثلاثين جلدة . وقد تجمع حشد من الناس ولكن لم يفعلوا شيئاً، تطوعت إحدى أقارب المرأة للمساعدة في إمساكها.

وبعد بضعة أيام انتشر الفيديو في كل مكان . حصلت مخرجة أفلام في إسلام آباد على ذلك الشريط، وتم عرضه على التلفزيون الباكستاني مرات عدة، ومن ثم في جميع أنحاء العالم . كان الناس غاضبون بحق، ولكن رد الفعل هذا بدا غريباً بالنسبة لنا، وأظهر أنه ليس لديهم أي فكرة عن الأشياء الفظيعة التي تجري في الوادي, تمنيت أن يمتد غضبهم إلى مسألة حظر تعليم الفتيات من قبل طالبان. دعا رئيس الوزراء يوسف رضا جيلاني لإجراء تحقيق، وأدلى ببيان قال فيه إن جلد الفتاة كان ضد تعاليم الإسلام. وقال "الإسلام يعلمنا أن نعامل النساء بأدب".

زعم بعض الناس أن الفيديو مزيف. وقال آخرون إن الجلد قد تم في يناير / كانون الثاني قبل اتفاق السلام، وتم نشره الآن لتخريب ذلك . ولكن أكد مسلم خان أنه حقيقي . قال "إنها خرجت من منزلها مع رجل لم يكن زوجها لذلك كان علينا معاقبتها". " لا يمكن تجاوز بعض الحدود ."

تقريباً في الوقت نفسه، في أوائل أبريل، جاء صحفي آخر معروف يدعى زاهد حسين إلى وادي سوات. ذهب لزيارة مفوض المنطقة في مقر إقامته الرسمي ووجده يستضيف على ما يبدو أنه احتفال يتعلق بسيطرة طالبان على الوادي. كان هناك عدد من كبار قادة طالبان مع مرافقين مسلحين بينهم مسلم خان وأيضا فقير محمد، زعيم المتشددين في باجور، الذين كانوا في وسط المعركة الدامية مع الجيش، وقد تم رصد مكافأة قدرها مائتا ألف دولار أمريكي مقابل رأسه، وعلى الرغم من ذلك كان يجلس هناك في مكتب أحد المسؤولين الحكوميين يتناول العشاء، سمعنا أيضا أن أحد العمداء في الجيش ذهب لحضور صلاة يؤمها فضل الله.

"لا يمكن أن يكون هناك سيفان في غمد واحد" قال أحد أصدقاء والدي " لا يمكن أن يكون هناك ملكان في أرض واحدة. من هو المسؤول هنا - الحكومة أم فضل الله ؟"

ولكننا ما زلنا نؤمن بالسلام، كان الجميع يتطلع إلى عقد اجتماع كبير مفتوح في يوم 20 أبريل/ نيسان عندما يخاطب صوفي محمد مواطني سوات.

كنا جميعاً في المنزل في صباح ذلك اليوم .كان والدي وإخوتي يقفون في الخارج عندما مرت بهم مجموعة من طالبان وهم شباب في سن المراهقة، وكانوا يشغلون أغاني النصر على هواتفهم النقالة. وقال خوشال " أوه، أنظر إليهم ، "أبا"[23] ، إذا كان لدي كلاشينكوف سأقتلهم."

لقد كان يوماً ربيعياً مثالياً . كان الجميع منفعلين لأنهم كانوا يأملون أن يعلن صوفي محمد السلام والنصر ويطلب من طالبان إلقاء أسلحتهم . لم يحضر والدي هذا التجمع. كان يشاهده من سطح أكاديمية ساروش، وهي مدرسة يديرها صديقه أحمد شاه حيث كان هو وغيره من الناشطين يجتمعون في كثير من الأحيان في الأمسيات. " كان السقف يطل على المنصة لذلك نصبت بعض وسائل الإعلام كاميراتها هناك.

[23] أبي

كان هناك حشد ضخم - يتراوح ما بين ثلاثين ألفاً أو أربعين ألف شخص كانوا يرتدون العمائم ويتغنون بأغاني طالبان والأغاني الجهادية . قال والدي "لقد كانت همهمة طالبانية بالكامل". لا يستطيع الليبراليون التقدميون مثله الاستمتاع بالإنشاد والهتاف . كانوا يعتقدون أنها أشياء سامة ، وخصوصاً في مثل هذه الأوقات. كان صوفي محمد جالساً على المنصة وكان هناك طابور طويل من الناس ينتظرون لإلقاء التحية عليه. بدأ اللقاء بتلاوة من سورة النصر - سورة من القرآن – اتبعت بخطب من قادة مختلفين من خمس مناطق في الوادي - كويستان، مالاكاند، شانجلا ودير العليا ودير السفلى. كانوا جميعاً متحمسين جداً لأن كل واحد منهم كان يأمل أن يتم تنصيبه أميراً على منطقته حتى يكونوا مسؤولين عن تطبيق الشريعة. فيما بعد تم قتل هذه القيادات أو ألقي بها في السجن، ولكن في ذلك الوقت كانوا يحلمون بالسلطة. لذلك كان كل واحد منهم يتحدث بسلطة كبيرة، كانوا يحتفلون مثل النبي، عليه الصلاة والسلام، عندما فتح مكة المكرمة، على الرغم من أن خطابه كان خطاب عفو وليس خطاب انتصار قاس.

ثم جاء دور صوفي محمد . لم يكن خطيباً مفوهاً. وكان رجلاً طاعنا في السن وبدا في حالة صحية سيئة وتحدث بطريقة مشوشة لمدة خمس وأربعين دقيقة . قال أشياء غير متوقعة تماماً كما لو كان يتكلم بلسان شخص آخر. وصف المحاكم الباكستانية بأنها غير إسلامية، وقال : "أنا أعتبر الديمقراطية الغربية نظاماً مفروضاً علينا من قبل الكفار. الإسلام لا يسمح بالديمقراطية أو الانتخابات ."

لم يقل صوفي محمد شيئا عن التعليم . لم يخبر طالبان بإلقاء أسلحتهم ومغادرة الحجرة ، بدلاً من ذلك بدا أنه يهدد كل الأمة. صاح "الآن انتظروا، نحن قادمون لإسلام آباد ."

لقد صدمنا. كان ذلك مثل صب الماء على نار مشتعلة – لقد تم إخماد النيران فجأة. كان الناس قد أصيبوا بخيبة أمل مريرة وبدؤوا يسبونه. سأل الناس " ماذا قال ذلك الشيطان؟ " عبرت أمي عن ذلك بشكل أفضل" هو ليس رجل سلام . إنه يريد المزيد من القتل . " قالت أمي "كانت لديه فرصة ليكون بطلاً تاريخياً ولكنه لم يستغلها". كان مزاجنا ونحن في طريقنا إلى البيت على النقيض تماما مما كنا نشعر به ونحن في الطريق إلى الاجتماع.

في تلك الليلة تحدث والدي في تلفزيون جيو وقال لكامران خان إن الناس كانت لهم آمال كبيرة ولكنهم أصيبوا بخيبة أمل. لم يقم صوفي محمد بما كان ينبغي له القيام به. كان من المفترض أن يمهر اتفاق السلام بخطاب يدعو للمصالحة ووضع حد للعنف.

لدى الناس نظريات مؤامرة مختلفة حول ما حدث. قال البعض إن صوفي محمد قد أصيب بالجنون. وقال آخرون إنه قد أمر بتقديم هذا الخطاب وتم تحذيره: "إذا لم تقم بذلك، هناك أربعة أو خمسة انتحاريين سيقومون بتفجيرك والجميع هناك ". قال: الناس بدا عليه عدم الارتياح وهو على المنصة قبل أن يوجه خطابه. وقد تحدثوا عن وجود أيدٍ خفية وقوى غير مرئية. ما ذا يهم؟ كنت أتساءل. النقطة المهمة هي أننا دولة طالبان.

مرة أخرى كان والدي مشغولاً بالتحدث في الندوات عن مشاكلنا مع طالبان. في إحدى الندوات قال وزير الإعلام في منطقتنا إن الطلبنة كانت نتيجة لسياسة بلدنا في تدريب المسلحين وإرسالهم إلى أفغانستان، لمحاربة الروس أولا ، ومن ثم لمحاربة الأميركيين. قال "إذا لم نضع البنادق في أيدي طلاب المدرسة بإيعاز من قوى أجنبية ما كان لنا أن نواجه حمام الدم هذا في مناطق القبائل وسوات ".

سرعان ما أصبح واضحاً أن الأمريكيين كانوا محقين في تقييم الاتفاق . "تعتقد حركة طالبان أن الحكومة الباكستانية قد أذعنت وأنها يمكن أن تفعل ما تشاء. لقد اتجهوا صوب بونر، وهي المقاطعة التالية إلى الجنوب الشرقي من وادي سوات وتبعد خمسة وستين ميلاً فقط من إسلام آباد. كان الناس في بونر يعارضون دائما طالبان ولكنهم أمروا بواسطة السلطات المحلية بعدم القتال. عندما وصل المتشددون وهم يحملون مدافع الـ (ار بي جي) والبنادق، ترك رجال الشرطة مواقعهم، قائلين إن حركة طالبان "لديها أسلحة متفوقة" فهرب الناس. أقامت طالبان محاكم الشريعة في جميع المقاطعات وقاموا ببث الخطب من المساجد داعين الشباب المحليين إلى الانضمام لهم.

تماما كما كان يجري في وادي سوات، تم إحراق أجهزة التلفزيون، والصور، وأقراص الفيديو الرقمية "دي في دي " والأشرطة. "وقد سيطروا حتى على الضريح الشهير لأحد شيوخ الصوفية ، بير بابا، والذي كان مزاراً. كان الناس يزورنه للدعاء من أجل الإرشاد الروحي والشفاء من أمراضهم وحتى من أجل أن ينعم أولادهم بحياة زوجية سعيدة.ولكن الآن تم تأمينه وإغلاقه.

أصبح الناس في المناطق السفلى من باكستان قلقين للغاية حيث قامت طالبان بالتحرك نحو العاصمة .ويبدو أن الجميع كان قد شاهد الفيديو الخاص بالفتاة التي كانت ترتدي البرقع الأسود وكان يتم جلدها متسائلين "هل هذا ما نريده في باكستان؟ قتل المتشددون بينظير، وقاموا بتفجير أفضل فندق شهير في البلاد، وقتل آلاف الأشخاص في تفجيرات انتحارية وقطعوا رؤوس المئات ودمروا المدارس. كم من الزمن يحتاجه كل من الجيش والحكومة للتصدي لهم ؟

في واشنطن أعلنت حكومة الرئيس أوباما أنها أرسلت واحداً وعشرين جندياً إضافيا إلى أفغانستان لتغيير مجرى الحرب ضد طالبان، ولكن الآن يبدو أنهم أصبحوا أكثر قلقاً على باكستان من أفغانستان .ليس بسبب الفتيات مثلي ومدرستي ولكن لأن بلدنا لديها أكثر من

مائتي رأس نووي وأنهم قلقون بشأن الجهة التي سوف تسيطر عليه. تحدثوا عن وقف المساعدات بمليارات الدولارات وإرسال قوات بدلاً من ذلك.

في بداية مايو أطلق جيشنا عملية الطريق القويم لطرد طالبان من وادي سوات . سمعنا أنهم أسقطوا المئات من الكوماندوز من طائرات الهليكوبتر في الجبال بالشمال .أيضا ظهر المزيد من القوات في مينجورا .هذه المرة سوف يحررون المدينة .أعلنوا عبر مكبرات الصوت أنه يجب على جميع السكان الرحيل.

قال والدي إننا يجب أن نبقى. ولكن كان إطلاق النار يبقينا مستيقظين معظم الليالي . كان الجميع في حالة مستمرة من القلق. استيقظنا في إحدى الليالي على صوت صراخ. كنا قد حصلنا مؤخراً على بعض الحيوانات الأليفة - ثلاث دجاجات بيضاء وأرنب أبيض كان أحد أصدقاء خوشال قد أعطاه إياها وقد تركناها تتجول حول المنزل. كان أتال يبلغ من العمر حينها خمس سنوات فقط وكان يحب الأرنب، ولذلك كان ينام تحت سرير والدي .ولكنه كان يتبول في كل مكان لذلك وضعناه في الخارج في تلك الليلة . حوالي منتصف الليل جاءت قطة وقامت بقتله. سمعنا كلنا صرخات الألم التي أطلقها الأرنب . لم يتوقف أتال من البكاء. وقال "دع الشمس تشرق وغداً سألقن ذلك القط درساً ' ."أنا سوف أقتله" تبدو تلك الحادثة كما لو أنها كانت فألا سيئاً

15

مغـادرة الـوادي

كانت مغادرة الوادي أصعب من أي شيء فعلته من قبل . تذكرت التابا[24] كانت جدتي تقرأ : " لا يترك أحد من البشتون أرضه بمحض إرادته، إما أن يترك أرضه بسبب الفقر أو يتركها من أجل الحب". الآن غادرنا أرضنا، لم يتصور كاتب التابا أبدا - طالبان. كأحد مسببات الهجرة بالنسبة للبشتون.

بمغادرة منزلنا شعرت كأن قلبي قد نزع بقوة .وقفت على سطح منزلنا أنظر إلى الجبال، جبل إلورن الذي تغطي قمته الثلوج حيث وصل الإسكندر الأكبر ولمس المشترى . نظرت إلى الأشجار المورقة. سيأكل أشخاص آخرون ثمار شجرة المشمش الخاصة بنا هذا العام . كل شيء كان صامتاً، صمت تسمع فيه صوت سقوط الدبوس. لم يكن هناك أي صوت من النهر أو الرياح. حتى الطيور لم تشقشق.

كنت أريد أن أبكي لأنني شعرت من قلبي أنني قد لا أرى منزلي مرة أخرى. كان صناع الفيلم الوثائقي قد سألوني كيف يكون شعوري إذا تركت سوات في يوم من الأيام ولم أعد إليها أبداً . في ذلك الوقت كان لدي اعتقاد أنه كان سؤالاً غبياً، ولكني الآن رأيت أن كل شيء لم أستطع تخيل حدوثه قد حدث . كنت أعتقد أن مدرستي لن تغلق وقد أغلقت. أعتقدت أننا سوف لن نترك سوات وأصبحنا على وشك المغادرة. أعتقدت أن سوات ستكون خالية من طالبان في يوم من الأيام ، ونحن سوف نفرح، ولكني أدركت الآن أن ذلك سوف لن يحدث. بدأت في البكاء . كان الأمر كما لو كان الجميع ينتظر شخصاً آخر ليبدأ. بدأت زوجة ابن عمي، هني ، في البكاء، ثم انخرطنا كلنا في البكاء. ولكن كانت والدتي هادئة جداً وشجاعة.

وضعت جميع كتبي ودفاتري في حقيبتي المدرسية ثم قمت بتعبئة شنطة أخرى بالملابس. لم استطع التفكير بشكل سوي، أخذت البنطلون من أحد الأطقم والبلوزة من طقم آخر لذلك كانت شنطتي تحتوي على أشياء غير متطابقة . لم آخذ شيئاً من جوائزي أو صوري المدرسية أو متعلقاتي الشخصية، حيث إننا كنا مسافرين في سيارة شخص آخر وكانت المساحة صغيرة . لم نكن نملك أي شيء ثمين مثل كمبيوتر محمول أو مجوهرات – كانت

[24] الشعر الشعبي البشتوني ويتكون من بيتين

أشياؤنا الوحيدة الثمينة هي تلفزيون وثلاجة وغسالة. نحن لم نعش حياة ترف – نحن البشتون نفضل الجلوس على الأرض بدلا من الكراسي. بيتنا فيه ثقوب في الجدران، وكان كل صحن وكأس يوجد فيه شق .

قاوم والدي عملية المغادرة حتى النهاية .ولكن بعد ذلك فقد بعض أصدقاء والدي أحد أقاربهم في حادث إطلاق نار لذلك ذهبوا إلى البيت لتقديم العزاء على الرغم من أن لا أحد يغامر بالخروج.. رؤية الحزن الذي يخيم عليهم جعل أمي تقرر المغادرة .وقالت لوالدي، 'أنت غير ملزم بالمجيء ، ولكني ذاهبة وسوف آخذ الأطفال إلى شانجلا. "إنها تعلم أنه لن يسمح لها بالذهاب وحدها. عانت والدتي بما يكفي من حوادث إطلاق النار والتوترات، اتصلت بالدكتور أفضل وتوسلت إليه أن يقنع والدي بالمغادرة. وقال إنه وعائلته كانوا مغادرين وسيقلونا معهم. ليس لدينا سيارة لذلك كنا محظوظين أن جيراننا، صافينا وعائلتها كانوا يغادرون أيضا وبإمكانهم اصطحاب البعض منا في سيارتهم بينما يذهب الباقي مع الدكتور أفضل.

في يوم 5 مايو 2009 أصبحنا أشخاصاً نازحين. كان ذلك يبدو وكأنه مرض.

كان هناك الكثير منا – لسنا نحن الخمسة فقط ولكن أيضا جدتي، ابن عمي وزوجته ، هني ، وطفلهما . أراد إخواني أيضا أن يأخذوا دجاجاتهم – ماتت دجاجتي لأنني غسلتها بالماء البارد في يوم شتوي . لم تستعد نشاطها حتى عندما وضعتها في صندوق الأحذية في المنزل لإبقائها دافئة وجمعت الكل في الجوار للصلاة من أجلها. رفضت أمي السماح بإحضار الدجاج وقد سألت" ماذا لو أنها تسببت في فوضى بالسيارة؟". إقترح أتال أن نشتري لهم حفاظات ! في النهاية غادرنا وتركنا لهم الكثير من الماء والذرة . وقالت أمي أيضا أنني يجب أن أترك حقيبتي المدرسية لأنه ليس هناك مجال لذلك .كنت مذعورة . ذهبت وتمتمت بآيات قرآنية على الكتب في محاولة لحمايتها.

أخيراً كان الجميع جاهزين. وقد تكدس والدي ووالدتي وجدتي وزوجة ابن عمي وطفلهما وجميع إخوتي في الجزء الخلفي من سيارة الدكتور أفضل جنباً إلى جنب مع زوجته وأولاده. كان هناك أطفال في حجر الكبار والأطفال الأصغر في حجر الأطفال الأكبر سناً. كنت الأوفر حظاً - كان هناك عدد أقل من الناس في سيارة صافينا - ولكني كنت محطمة لفقدان حقيبتي المدرسية – لأنني كنت قد حزمت كتبي بشكل منفصل و اضطررت إلى تركها جميعا ورائي.

قرأنا جميعا سوراً من القرآن ودعاء خاص لحفظ بيوتنا ومدرستنا الحبيبة. ومن ثم وضع والد صافينا قدمه على دواسة البنزين وتحركنا خارج العالم الصغير الذي يضم شوارعنا ومنزلنا

والمدرسة إلى المجهول .لم نكن نعرف ما إذا كنا سنرى مدينتنا مرة أخرى . كنا قد رأينا صوراً عن الكيفية التي قام بها الجيش بتسوية كل شيء بالأرض في عملية ضد المتشددين في باجور، و كنا نظن أن كل ما عرفناه سيتم تدميره.

كانت الشوارع مثل علب المربى المعبأة. لم يحدث أن رأيتها بهذا الاكتظاظ من قبل . كانت هناك سيارات في كل مكان، وكذلك عربات الريكشو، وعربات تجرها البغال وشاحنات محملة بالناس وممتلكاتهم .كانت هناك أيضا دراجات نارية عليها عائلات بأكملها تجلس بشكل متوازن عليها. كان هناك الآلاف من الناس يغادرون فقط بملابسهم التي يحملونها على ظهورهم . شعرت كما لو أن الوادي كله يتحرك . كان بعض الناس يعتقد أن البشتون ينحدرون من إحدى قبائل اسرائيل المفقودة، وقال والدي" يبدو الأمر كما لو أننا الإسرائيليون الذين غادروا مصر، ولكن ليس لدينا أي موسى ليرشدنا" . كانت هناك قلة من الناس يعرفون أين سيذهبون، كانوا يعلمون تماماً أنهم اضطروا إلى الرحيل. كانت هذه أكبر هجرة جماعية في تاريخ البشتون.

في الغالب كان هناك العديد من الطرق للخروج من مينجورا، ولكن قامت حركة طالبان بقطع عدد من أشجار التفاح الكبيرة واستخدموها في إغلاق بعض الطرق، لذلك تكدس الجميع في الطريق نفسه، كنا عبارة عن محيط من الناس . كانت طالبان تقوم بدوريات في الطرق وهي تحمل البنادق وكانوا يراقبوننا من أسطح المباني. كانوا ينظمون السيارات في صفوف ولكن بالأسلحة وليس بالصافرات. "شرطة المرور الطالبانية " كنا نمزح في محاولة منا لإبقاء روحنا المعنوية مرتفعة. مررنا على نقاط التفتيش الخاصة بالجيش ونقاط التفتيش الخاصة بطالبان التي توجد جنباً إلى جنب في مسافات منتظمة على طول الطريق. مرة أخرى كان الجيش على ما يبدو يجهل وجود طالبان.

"ربما لديهم ضعف في النظر"، ضحكنا، "ولا يستطيعون رؤيتهم ."

كان الطريق يعج بحركة المرور .لقد كانت رحلة طويلة وبطيئة كنا محشورين في السيارة يبللنا العرق .عادة كانت الرحلات بالسيارة هي مغامرة بالنسبة لنا ونحن أطفال، حيث أننا نادراً ما نذهب إلى أي مكان . ولكن كان هذا مختلفاً . كان الجميع مكتئباً.

كان والدي يتحدث من داخل سيارة الدكتور أفضل إلى وسائل الإعلام، وكان يقدم تعليقاً متواصلاً عن عملية الخروج من الوادي . كانت والدتي تقول له على الدوام أن يبقي صوته منخفضاً خوفاً من أن يسمعه رجال طالبان . كان صوت والدي عالياً وكانت والدتي كثيراً ما تمازحه وكانت تقول له إنه ليس بحاجة إلى إجراء مكالمات هاتفية، باستطاعته فقط أن يصرخ.

أخيرا وصلنا عبر ممر جبلي في مالاكاند وتركنا سوات وراءنا، في وقت متأخر بعد الظهر وصلنا ماردان ، وهي مدينة حارة ومزدحمة.

ظل والدي يصر على الجميع "في غضون أيام قليلة سوف نعود. كل شيء سيكون على ما يرام ."ولكن كنا نعرف أن هذا ليس صحيحا.

في ماردان كانت هناك بالفعل معسكرات كبيرة تحتوي على الخيام البيضاء الخاصة بالمفوضية العليا للاجئين والتي تشبه خيام اللاجئين الأفغان في بيشاور. سوف لن نبقى في المخيمات لأنها كانت أسوأ فكرة على الإطلاق. فر ما يقرب من مليوني شخص من سوات ولا يمكن أن تضع مليوني شخص في تلك المخيمات. حتى لو كانت هناك خيمة بالنسبة لنا، كان الجو حاراً جداً في الداخل وكان هناك حديث يتعلق بانتشار الأمراض مثل الكوليرا . قال والدي إنه سمع شائعات بأن بعضاً من رجال طالبان يختبئ داخل المخيمات ويقوم بمضايقة النساء.

بقي أولئك المستطيعون، في منازل السكان المحليين أو مع بعض الأسر والأصدقاء . من المذهل أنه قد تمت استضافة ثلاثة أرباع النازحين من قبل مواطني ماردان ومدينة سوابي القريبة. لقد فتحوا أبواب منازلهم ومدارسهم ومساجدهم للاجئين، في ثقافتنا يتوقع عدم اختلاط النساء مع الرجال الذين لا يمتون لهن بصلة . من أجل حماية النساء ينام رجال الأسر التي تستضيف اللاجئين أيضا خارج منازلهم.

أصبحوا نازحين داخليين بطوعهم. كان ذلك مثالاً مذهلاً للكرم البشتوني. كنا على قناعة من أنه إذا كانت الحكومة تشرف على عملية النزوح الجماعي فسيلقى الكثيرون حتفهم من الجوع والمرض.

بما أنه لم يكن لدينا أقارب في ماردان كنا نخطط لشق طريقنا إلى شانجلا، قرية عائلتنا . حتى الآن كنا نسير في الاتجاه المعاكس، ولكن تعين علينا استغلال وسيلة النقل الوحيدة التي يمكن أن نحصل عليها للخروج من سوات.

قضينا تلك الليلة الأولى في منزل الدكتور أفضل. ثم تركنا والدي للذهاب إلى بيشاور لإخطار الناس بما كان يحدث. وقد وعد بلقائنا في شانجلا في وقت لاحق، حاولت والدتي جاهدة إقناعه بأن يأتي معنا لكنه رفض، أراد أن يكون أهالي بيشاور وإسلام آباد على بيّنة من الظروف الرهيبة التي يعيش فيها النازحون الداخليون وعدم قيام الجيش بأي شيء، قلنا وداعاً وكنا قلقين بشكل رهيب من أننا سوف لن نراه مرة أخرى.

في اليوم التالي حصلنا على وسيلة نقل إلى أبوت آباد، حيث كانت تعيش أسرة جدتي. هناك التقينا ابن عمي خانجي، الذي كان متجهاً شمالاً مثلنا . كان يدير منزلا للبنين في وادي سوات

وكان يأخذ سبعة أو ثمانية أولاد لكوهيستان في حافلة. وقال إنه ذاهب الى بيشام ، ومن هناك سنكون في حاجة إلى وسيلة أخرى لتقلنا إلى شانجلا.

بحلول الظلام وصلنا إلى بيشام، حيث تم إغلاق العديد من الطرق، قضينا الليلة في أحد الفنادق الرخيصة القذرة في حين حاول ابن عمي تدبير سيارة لنقلنا إلى شانجلا . اقترب رجل من أمي فقامت بخلع حذاءها وضربته مرة ومرتين فلاذ بالفرار. وكانت قد ضربته بقوة حتى أنها عندما نظرت إلى الحذاء وجدته مكسوراً. كنت أعرف دائماً أن أمي امرأة قوية ولكني نظرت إليها باحترام جديد.

لم يكن من السهل السفر من بيشام إلى قريتنا، وكان علينا المشي خمسة وعشرين كيلو متراً ونحن نحمل كل أشيائنا . وقد تم إيقافنا من قبل الجيش عند إحدى النقاط، حيث قالوا لنا إننا لا يمكن أن نذهب إلى أبعد من ذلك ويجب أن نعود أدراجنا. كنا نتساءل "أهلنا في شانجلا . أين سنذهب؟" . بدأت جدتي تبكي وتقول إن حياتها لم تكن يوماً بهذا السوء . أخيراً، سمحوا لنا بالمرور . كان الجيش ومدافعهم الرشاشة في كل مكان. بسبب حظر التجول ونقاط التفتيش، لم تكن هناك أي سيارة أخرى على الطريق لا تتبع للجيش. كنا نخشى أن لا يعرف الجيش من نحن ويطلق علينا النار.

عندما وصلنا إلى القرية اندهش أفراد عائلتنا لرؤيتنا حيث كان الجميع يعتقد أن طالبان ستعود إلى شانجلا لذلك لم يفهموا لماذا لم نبقَ في ماردان.

بقينا في قرية أمي، كارشات، مع خالي فايز محمد وعائلته. وكان علينا أن نستعير الملابس من أقاربنا حيث إننا لم نجلب الكثير منها . كنت سعيدة أن أكون مع ابنة خالي سومبول، التي تكبرني بعام واحد. بعد استقرارنا بدأت أذهب معها إلى المدرسة كنت في السنة السادسة ولكن بدأت الدراسة في السنة السابعة لكي أكون مع سومبول" كانت هناك ثلاث فتيات فقط في تلك السنة لأن معظم فتيات القرية لا يذهبن إلى المدرسة في هذه السن، لذلك كنا ندرس مع الأولاد لأنه لم يكن لديهم مساحة أو عدد كاف من المعلمين لتدريس ثلاث فتيات فقط بشكل منفصل، كنت أختلف عن الفتيات الأخريات لأنني لم أكن أغطي وجهي واعتدت على التحدث إلى كل معلم وطرح الأسئلة عليه. ولكني حاولت أن أكون مطيعة ومهذبة، وأقول دائما" : نعم، سيدي."

كان الأمر يستغرق أكثر من نصف ساعة للمشي إلى المدرسة، ولأني كنت سيئة في الاستيقاظ في الصباح وصلنا متأخرين في اليوم الثاني، صدمت عندما ضربني المعلم بعصا على يدي عقاباً لي، ولكني تأكدت بعد ذلك أنهم قبلوني على الأقل ولا يعاملونني بشكل مختلف حتى إن خالي أعطاني مصروفاً لشراء وجبات خفيفة في المدرسة - كانوا يبيعون الخيار والبطيخ وليس الحلويات ورقائق البطاطس كما في مينجورا.

في أحد الأيام كان هناك احتفال بيوم الآباء، وحفل توزيع الجوائز في المدرسة، وتم تشجيع جميع الأولاد على إلقاء الخطب. وقد اشترك عدد من الفتيات أيضاً، ولكن ليس بشكل علني. بدلاً من ذلك كنا نتحدث في الميكروفون من داخل فصولنا الدراسية، ومن ثم يتم بث أصواتنا في القاعة الرئيسية، ولكني كنت متعودة على التحدث علنا لذلك خرجت ومن ثم قمت بقراءة "نات" وهي عبارة عن قصيدة شعرية قمت فيها بالثناء على النبي، عليه الصلاة والسلام . ثم سألت المعلم إذا كان من الممكن أن أقرأ المزيد من الشعر، قرأت قصيدة تتعلق بالعمل الجاد لتحقيق الأمنيات القلبية. قلت: " قبل أن تنتج جوهرة ولو كانت صغيرة يجب أن تقطع الماسة مرات عديدة" بعد ذلك تحدثت عن الشخصية التي أحمل اسمها ، ملالاي المايواندية، والتي كانت تتمتع بقوة وقدرة تساوي قوة وقدرة مئات الآلاف من الرجال الشجعان؛ لأن بضعة أسطر من شعرها قد غيرت كل شيء لذلك تمت هزيمة البريطانيين.

بدت الدهشة على الحضور، وكنت أتساءل ما إذا كانوا يظنون إنني كنت أتباهى أو ما إذا كانوا يسألون أنفسهم لماذا لم أكن أرتدي الحجاب.

كم كان جميلاً أن أكون مع أبناء خالي ولكني افتقدت كتبي. ظللت أفكر في حقيبتي المدرسية التي تركتها في المنزل مع نسخ من أوليفر تويست وروميو وجولييت التي تنتظر القراءة، وبيتي القبيحة على أقراص الـ(دي في دي) الموضوعة على الرف . ولكننا الآن نعيش مأساتنا . كنا في غاية السعادة، ومن ثم جاء شيء سيئ جدا في حياتنا ونحن الآن بانتظار نهايتنا السعيدة . عندما تذمرت بشأن كتبي تأوه إخوتي حزنا على دجاجاتهم.

سمعنا على الراديو أن الجيش قد بدأ المعركة لتحرير مينجورا. لقد تم إنزال الجنود بالمظلات، وكان هناك اشتباك بالأيدي في الشوارع. كان رجال طالبان يستخدمون الفنادق والمباني الحكومية والمخابئ. بعد أربعة أيام احتل الجيش ثلاث ساحات بما في ذلك ساحة تشوك، حيث كانت طالبان تقوم بعرض جثث ضحاياها المقطوعة الرأس. ثم استولى الجيش على المطار وخلال أسبوع تمكنوا من احتلال المدينة.

تواصل قلقنا على والدي. في شانجلا كان من الصعب العثور على إشارة الهاتف المحمول، كان علينا الصعود على صخرة ضخمة في أحد الحقول، وحتى ذلك الحين نادراً ما يكون لدينا أكثر من خط استقبال واحد، لذلك بالكاد كنا نتحدث معه، ولكن بعد أن مكثنا في شانجلا لمدة ستة أسابيع، قال والدي إنه يمكننا السفر إلى بيشاور، حيث كان يقيم في غرفة واحدة مع ثلاثة من أصدقائه.

كانت رؤية والدي مرة أخرى مؤثرة جداً، ومن ثم اجتمع شمل العائلة مرة أخرى، سافرنا الى إسلام آباد، ومكثنا مع عائلة شيزا، السيدة التي اتصلت بنا من ستانفورد. بينما كنا هناك سمعنا أن السفير ريتشارد هولبروك، المبعوث الأمريكي لباكستان وأفغانستان، قد عقد اجتماعاً في فندق سيرينا حول النزاع، وقد تمكنت أنا ووالدي من الدخول.

لقد فاتنا الاجتماع تقريباً، حيث إنني لم أقم بضبط المنبه بشكل صحيح لذلك كان والدي بالكاد يتحدث إليّ . وكان هولبروك رجلاً صخماً أجهش الصوت، وجهه أحمر ولكن قال الناس إنه ساعد على إحلال السلام في البوسنة. جلست بجانبه وسألني كم عمري. أجبت " اثني عشر؛ محاولة أن أبدو طويلة القامة قدر الإمكان. قلت له "السفير المحترم، أرجو منكم، مساعدتنا نحن الفتيات في الحصول على التعليم".

قال ضاحكاً "لديكم بالفعل الكثير من المشاكل ونحن نقوم بالكثير من أجلكم، " وأجاب "لقد تعهدنا بتوفير مليارات الدولارات من المساعدات الاقتصادية؛ ونحن نعمل مع حكومتكم على توفير الكهرباء والغاز، ولكن بلدكم يواجه الكثير من المشاكل ".

أجريت مقابلة مع محطة إذاعية تسمى باور 99. وقد أحبوا تلك المقابلة كثيراً وقالوا لنا إن لديهم بيت ضيافة في أبوت آباد حيث يمكننا أن نذهب جميعاً. بقينا هناك لمدة أسبوع ولفرحتي سمعت أن منيبة موجودة أيضا في أبوت آباد، وكذلك إحدى معلماتنا وصديقة أخرى. لم أتحدث أنا ومنيبة منذ أن تشاجرنا في اليوم الأخير قبل أن نصبح نازحين. رتبنا للقاء في حديقة، أحضرت لها بيبسي وبسكويتاً. قالت لي " كل ذلك كان خطؤك" وافقتها على ذلك. لم أنزعج . أردت فقط أن نكون أصدقاء.

سرعان ما انتهى أسبوعنا في دار الضيافة وذهبنا إلى هاريبور، حيث كانت تعيش إحدى عماتي. كانت هي المدينة الرابعة التي نقيم فيها خلال شهرين. كنت أعرف أننا كنا أفضل حالاً من أولئك الذين يعيشون في المخيمات، كانوا يصطفون لساعات تحت أشعة الشمس الحارقة للحصول على الغذاء والماء، ولكنني افتقدت الوادي. لقد قضيت عيد ميلادي الثاني عشر هناك. لا أحد يتذكر. حتى والدي قد نسي ذلك ، لقد كان مشغولاً يتنقل هنا وهناك. كنت متضايقة وكنت أتذكر كيف كان عيد ميلادي الحادي عشر مختلفاً. تشاركت مع أصدقائي في الكعكة، وكانت هناك بالونات وقد تمنيت الأمنيات نفسها التي تمنيتها في عيد ميلادي الثاني عشر، ولكن في هذا الوقت لم تكن هناك كعكة ولم تكن هناك شموع لنطفئها. مرة أخرى تقت للسلام في وادينا.

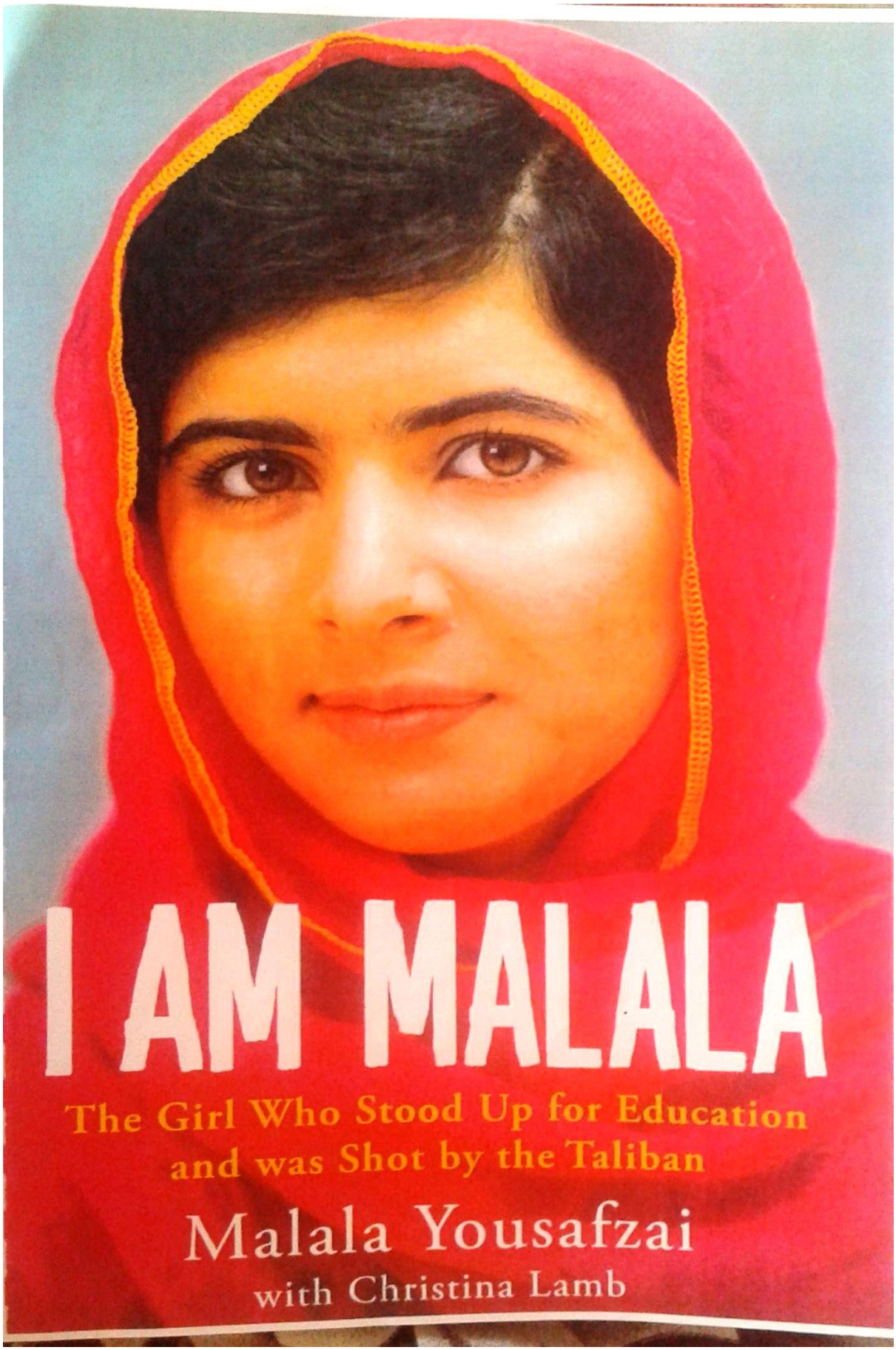
I AM MALALA
The Girl Who Stood Up for Education
and was Shot by the Taliban
Malala Yousafzai
with Christina Lamb

My father tried to counter their propaganda but it was hard. 'I have no militants and no FM radio,' he joked. He even dared to enter the Radio Mullah's own village one day to speak at a school. He crossed the river in one of the metal boxes suspended from a pulley that we use as makeshift bridges. On the way he saw smoke so high it touched the clouds, the blackest smoke he'd ever seen. At first he thought it might be a brick factory, but as he approached he saw bearded figures in turbans burning TVs and computers.

In the school my father told the people, 'I saw your villagers burning these things. Don't you realize the only ones who will profit are the companies in Japan, who will just make more?'

Someone came up to him and whispered, 'Don't speak any more in this way – it's risky.'

Meanwhile the authorities, like most people, did nothing.

It felt as though the whole country was going mad. The rest of Pakistan was preoccupied with something else – the Taliban had moved right into the heart of our nation's capital, Islamabad. We saw pictures on the news of what people were calling the Burqa Brigade – young women and girls like us in burqas with sticks, attacking CD and DVD shops in bazaars in the centre of Islamabad.

The women were from Jamia Hafsa, the biggest female madrasa in our country and part of Lal Masjid – the Red Mosque in Islamabad. It was built in 1965 and got its name from its red walls. It's just a few blocks from parliament and the headquarters of ISI, and many government officials and military used to pray there. The mosque has two madrasas, one for girls and one for boys, which had been used for years to recruit and train volunteers to fight in Afghanistan and Kashmir. It was run by two brothers, Abdul Aziz and Abdul Rashid, and had become a centre for spreading propaganda about bin Laden whom Abdul Rashid had met in Kandahar when visiting Mullah Omar. The brothers were famed for their fiery sermons and attracted thousands of

worshippers, particularly after 9/11. When President Musharraf agreed to help America in the 'War on Terror', the mosque broke off its long links with the military and became a centre of protest against the government. Abdul Rashid was even accused of being part of a plot to blow up Musharraf 's convoy in Rawalpindi in December 2003. Investigators said the explosives used had been stored in Lal Masjid. But a few months later he was cleared.

When Musharraf sent troops into the FATA, starting with Waziristan in 2004, the brothers led a campaign declaring the military action un-Islamic. They had their own website and pirate FM station on which they broadcast, just like Fazlullah.

Around the same time as our Taliban were emerging in Swat, the girls of the Red Mosque madrasa began terrorising the streets of Islamabad. They raided houses they claimed were being used as massage centres, they kidnapped women they said were prostitutes and closed down DVD shops, again making bonfires of CDs and DVDs. When it suits the Taliban, women can be vocal and visible. The head of the madrasa was Umme Hassan, the wife of the elder brother, Abdul Aziz, and she even boasted that she had trained many of her girls to become suicide bombers. The mosque also set up its own courts to dispense Islamic justice, saying the state had failed. Their militants kidnapped policemen and ransacked government buildings.

The Musharraf government didn't seem to know what to do. This was perhaps because the military had been so attached to the mosque. But by the middle of 2007 the situation was so bad that people began to worry the militants could take over the capital. It was almost unbelievable – Islamabad is usually a quiet, orderly place, very different to the rest of our country. Finally on the evening of 3 July commandos with tanks and armoured personnel carriers surrounded the mosque. They cut off the electricity in the area, and as dusk fell there was a sudden burst of gunfire and explosions. The troops blasted holes in the wall surrounding the mosque and fired mortars at the compound as helicopter gunships

hovered overhead. Over loudspeakers they called for the girls to surrender.

Many of the militants in the mosque had fought in Afghanistan or Kashmir. They barricaded themselves and the madrasa students inside concrete bunkers with sandbags. Worried parents gathered outside, calling their daughters on mobile phones, begging them to come out. Some of the girls refused, saying their teachers had taught them that to become a martyr is a glorious thing.

The next evening a small group of girls emerged. Hidden among them was Abdul Aziz, disguised in a burqa, along with his daughter. But his wife and younger brother stayed inside, along with many students, and there were daily exchanges of gunfire between the militants and the troops outside. The militants had RPGs and petrol bombs made from Sprite bottles. The siege went on until late on 9 July, when the commander of the special forces outside was killed by a sniper in one of the minarets. The military finally lost patience and stormed the compound.

They called it Operation Silence although it was very loud. Never had there been such a battle in the heart of our capital. Commandos fought from room to room for hours until they finally tracked Abdul Rashid and his followers to a basement where they killed him. By nightfall on 10 July, when the siege was finally over, around a hundred people had been killed including several soldiers and a number of children. The news showed shocking pictures of the wreckage, everywhere blood and broken glass, and dead bodies. We all watched in horror. Some of the students at the two madrasas were from Swat. How could something like that happen in our capital city and in a mosque? A mosque is a sacred place for us.

It was after the Red Mosque siege that the Swat Taliban changed. On 12 July – which I remember because it was my birthday – Fazlullah gave a radio address that was quite different to his previous ones. He raged against the Lal Masjid attack and vowed to avenge the death of Abdul Rashid. Then he declared war on the Pakistani government.

This was the start of real trouble. Fazlullah could now carry out his threats and mobilise support for his Taliban in the name of Lal Masjid. A few days later they attacked an army convoy travelling in the direction of Swat and killed thirteen soldiers. The backlash wasn't just in Swat. There was an enormous protest by tribesmen in Bajaur and a wave of suicide bombings across the country. There was one ray of hope – Benazir Bhutto was returning. TheAmericans were worried that their ally General Musharraf was too unpopular in Pakistan to be effective against the Taliban so they had helped broker an unlikely power-sharing deal. The plan was that Musharraf would finally take off his uniform and be a civilian president, supported by Benazir's party. In return he would drop corruption charges against her and her husband and agree to hold elections, which everyone assumed would result in Benazir becoming prime minister. No Pakistani, including my father, thought this deal would work as Musharraf and Benazir hated each other.

Benazir had been in exile since I was two years old, but I had heard so much about her from my father and was very excited that she would return and we might have a woman leader once more. It was because of Benazir that girls like me could think of speaking out and becoming politicians. She was our role model. She symbolised the end of dictatorship and the beginning of democracy as well as sending a message of hope and strength to the rest of the world. She was also our only political leader to speak out against the militants and even offered to help American troops hunt for bin Laden inside Pakistani borders.

Some people obviously did not like that. On 18 October 2007 we were all glued to the TV as she walked down the steps of the plane in Karachi and wept as she stepped onto Pakistani soil after almost nine years in exile. When she paraded on an open-top bus through the streets, hundreds of thousands of people flocked to see her. They had travelled from all over the country and many of them were carrying small children. Some released white doves, one of which flew to perch on Benazir's shoulder. The crowds

were so large that the bus moved at a walking pace. We stopped watching after a while as it was clearly going to take hours.

I had gone to bed when just before midnight the militants struck. Benazir's bus was blown up in a wave of orange flame. My father told me the news when I woke up the next morning. He and his friends were in such a state of shock that they had not gone to bed. Luckily, Benazir survived because she had gone downstairs to an armoured compartment to rest her feet just before the explosions, but 150 people had been killed. It was the biggest bomb ever to have gone off in our country. Many of the dead were students who had made a human chain around the bus. They called themselves Martyrs for Benazir. At school that day everyone was subdued, even those who had opposed Benazir. We were devastated but also thankful that she had survived. About a week later the army came to Swat, making lots of noise with their jeeps and helicopters. We were at school when the helicopters first arrived and were very excited. We ran outside and they threw toffees and tennis balls down to us, which we rushed to catch. Helicopters were a rare sight in Swat, but since our house was close to the local army headquarters they sometimes flew right over us. We used to hold competitions for who would collect the most toffees.

One day a man from along the street came and told us that it had been announced in the mosques that there would be a curfew the next day. We didn't know what a curfew was and were anxious. There was a hole in the wall to our neighbours' house, Safina's family, through which we used to communicate with them, and we knocked on the wall so they would come to the hole. 'What does it mean this curfew?' we asked. When they explained, we didn't even come out of our rooms because we thought something bad might happen. Later the curfew took over our lives.

We heard on the news that Musharraf had sent 3,000 troops into our valley to confront the Taliban. They occupied all government and private buildings which they thought were of strategic

importance. Until then it had seemed as if the rest of Pakistan was ignoring what was happening in Swat. The following day a suicide bomber attacked another army truck in Swat, killing seventeen soldiers and thirteen civilians. Then all that night we heard *dar dar dar*, the boom of cannons and machine guns from the hills. It was hard to sleep.

On the TV the next day we heard that fighting had erupted in the hills to the north. School was closed and we stayed at home, trying to understand what was going on. The fighting was taking place outside Mingora though we could still hear gunfire. The military said it had killed more than a hundred militants, but then on the first day of November around 700 Taliban overran an army position at Khwazakhela. Some fifty men deserted from the Frontier Corps and another forty-eight were captured and then paraded around. Fazlullah's men humiliated them by taking their uniforms and guns and giving them each 500 rupees to make their way back. The Taliban then took two police stations in Khwazakhela and moved on to Madyan, where more police officers gave up their weapons. Very quickly the Taliban controlled most of Swat outside Mingora.

On 12 November Musharraf ordered 10,000 more troops into our valley with additional helicopter gunships. The army was everywhere. They even camped on the golf course, their big guns trained on the hillsides. They then launched an operation against Fazlullah which later became known as the first battle of Swat. It was the first time the army had launched an operation against its own people outside the FATA. Police once tried to capture Fazlullah when he was speaking at a gathering, but a giant sandstorm blew up and he managed to escape. This added to his mystery and spiritual reputation.

The militants did not give up easily. Instead they advanced to the east and on 16 November captured Alpuri, the main town of Shangla. Again local police fled without a fight. People there said Chechens and Uzbeks were among the fighters. We worried about our family in Shangla, though my father said the village was too

remote for the Taliban to bother with and local people had made it clear they would keep them out. The Pakistan army had far more men and heavy weapons so they quickly managed to recapture the valley. They took Imam Deri, the headquarters of Fazlullah. The militants fled to the forests and by early December the army said they had cleared most areas. Fazlullah retreated into the mountains.

But they did not drive the Taliban away. 'This will not last,' my father predicted.

Fazlullah's group was not the only one causing havoc. All across north-western Pakistan different militant groups had emerged led by people from various tribal groups. About a week after the battle of Swat, forty Taliban leaders from across our province met in South Waziristan to declare war on Pakistan. They agreed to form a united front under the banner of Tehrik-i-Taliban-Pakistan (TTP), or the Pakistan Taliban, and claimed to have 40,000 fighters between them. They chose as their leader a man in his late thirties called Baitullah Mehsud, who had fought in Afghanistan. Fazlullah was made chief of the Swat sector.

When the army arrived we thought that the fighting would soon stop, but we were wrong. There was much more to come. The Taliban targeted not only politicians, MPs and the police, but also people who were not observing purdah, wearing the wrong length of beard or the wrong kind of shalwar kamiz.

On 27 December Benazir Bhutto addressed an election rally in Liaquat Bagh, the park in Rawalpindi where our first prime minister, Liaquat Ali, was assassinated. 'We will defeat the forces of extremism and militancy with the power of the people,' she declared to loud cheers. She was in a special bulletproof Toyota Land Cruiser, and as it left the park she stood up on the seat and popped her head through the sunroof to wave to supporters. Suddenly there was the crack of gunfire and an explosion as a suicide bomber blew himself up by the side of her vehicle. Benazir slid back down. The Musharraf government later said she

hit her head on the roof handle; other people said she had been shot.

We were watching the TV when the news came through. My grandmother said, 'Benazir will become *shaheed*,' meaning she would die an honourable death. We all started crying and praying for her. When we learned she was dead, my heart said to me, *Why don't you go there and fight for women's rights?* We were looking forward to democracy and now people asked, 'If Benazir can die, nobody is safe.' It felt as if my country was running out of hope.

Musharraf blamed Benazir's death on Baitullah Mehsud, the TTP leader, and released a transcript of an intercepted phone call that was supposed to be between him and a fellow militant discussing the attack. Baitullah denied responsibility, which was unusual for the Taliban.

We used to have Islamic studies teachers – *qari sahibs* – who came to our home to teach the Quran to me and other local children. By the time the Taliban came I had finished my recitation of the complete Quran, what we call *Khatam ul-Quran*, much to the delight of *Baba*, my grandfather the cleric. We recite in Arabic, and most people don't actually know what the verses mean, but I had also started learning them in translation. To my horror one *qari sahib* tried to justify Benazir's assassination. 'It was a very good job she was killed,' he said. 'When she was alive she was useless. She was not following Islam properly. If she had lived there would have been anarchy.'

I was shocked and told my father. 'We don't have any option. We are dependent on these mullahs to learn the Quran,' he said. 'But you just use him to learn the literal meaning of the words; don't follow his explanations and interpretation. Only learn what God says. His words are divinemessages, which you are free and independent to interpret.'

11
The Clever Class

IT WAS SCHOOL that kept me going in those dark days. When I was in the street it felt as though every man I passed might be a *talib*. We hid our school bags and our books in our shawls.
My father always said that the most beautiful thing in a village in the morning is the sight of a child in a school uniform,but now we were afraid to wear them.

We had moved up to high school. Madam Maryam said no one wanted to teach our class as we asked so many questions. We liked to be known as the clever girls. When we decorated our hands with henna for holidays and weddings, we drew calculus and chemical formulae instead of flowers and butterflies. My rivalry with Malka-e-Noor continued, but after the shock of being beaten by her when she first joined our school, I worked hard and had managed to regain my position on the school honours board for first in class. She usually came second and Moniba third. The teachers told us examiners first looked at how much we had written, then presentation. Moniba had the most beautiful writing and presentation of the three of us, but I always told her she did not trust herself enough. She worked hard as she worried that if she got low marks her male relatives might use it as an excuse to stop her education. I was weakest in maths – once I got zero in a test – but I worked hard at it. My chemistry teacher Sir Obaidullah (we called all our teachers Sir or Miss) said I was a born politician because, at the start of oral exams, I would always say, 'Sir, can I just say you are the best teacher and yours is my favourite class.'

Some parents complained that I was being favoured because my father owned the school, but people were always surprised that despite our rivalry we were all good friends and not jealous of each other. We also competed in what we call board exams. These

would select the best students from private schools in the district, and one year Malka-e-Noor and I got exactly the same marks. We did another paper at school to see who would get the prize and again we got equal marks. So people wouldn't think I was getting special treatment, my father arranged for us to do papers at another school, that of his friend Ahmad Shah. Again we got the same, so we both got the prize.

There was more to school than work. We liked performing plays. I wrote a sketch based on *Romeo and Juliet* about corruption. I played Romeo as a civil servant interviewing people for a job. The first candidate is a beautiful girl, and he asks her very easy questions such as, 'How many wheels does a bicycle have?' When she replies, 'Two,' he says, 'You are so brilliant.' The next candidate is a man so Romeo asks him impossible things like, 'Without leaving your chair tell me the make of the fan in the room above us.' 'How could I possibly know?' asks the candidate. 'You're telling me you have a PhD and you don't know!' replies Romeo. He decides to give the job to the girl.

The girl was played by Moniba, of course, and another classmate Attiya played the part of my assistant to add some salt, pepper and masala with her witty asides. Everyone laughed a lot. I like tomimic people, and in breaks my friends used to beg me to impersonate our teachers, particularly Sir Obaidullah. With all the bad stuff going on in those days, we needed small, small reasons to laugh.

The army action at the end of 2007 had not got rid of the Taliban. The army had stayed in Swat and were everywhere in the town, yet Fazlullah still broadcast every day on the radio and throughout 2008 the situation was even worse than before with bomb blasts and killings. All we talked about in those days was the army and the Taliban and the feeling that we were caught between the two. Attiya used to tease me by saying, 'Taliban is good, army not good.' I replied, 'If there is a snake and a lion coming to attack us what would we say is good, the snake or lion?'

Our school was a haven from the horrors outside. All the other girls in my class wanted to be doctors, but I decided I wanted to be an inventor and make an anti-Taliban machine which would sniff them out and destroy their guns. But of course at school we were under threat too, and some of my friends dropped out. Fazlullah kept broadcasting that girls should stay at home and his men had started blowing up schools, usually during night-time curfew when the children were not there.

The first school to be blown up was Shawar Zangay, a government girls' primary school in Matta.We couldn't believe anyone would do such a thing. Then many more bombings followed, almost every day. Even in Mingora, there were explosions. Twice bombs went off when I was in the kitchen, so close by that the whole house rattled and the fan above the window fell down. I became very scared of going into the kitchen and would only run in and out.

On the last day of February 2008 I was in the kitchen when we heard an enormous blast. It was earshatteringly loud and obviously close by. As we always did, we called to each other to make sure we were all safe. '*Khaista*, *Pisho, Bhabi*, Khushal, Atal!' Then we heard sirens, one after another as if all the ambulances of Mingora were passing. A suicide bomber had struck in the basketball court at Haji Baba High School. Funeral prayers had been under way for a popular local police officer, Javid Iqbal, who had been killed by a suicide bomber in a remote area while trying to escape from the Taliban. He was from Mingora, and his body had been brought back for the funeral and a police salute. Now the Taliban had bombed the mourners. More than fifty-five people were killed, including
Javid Iqbal's young son and many people we knew. Ten members of Moniba's family were there and were either killed or injured. Moniba was devastated and the whole town was in shock. There were condolences in every mosque.

'Are you scared now?' I asked my father.

‘At night our fear is strong, *Jani*,’ he told me, ‘but in the morning, in the light, we find our courage again.’ And this is true for my family. We were scared, but our fear was not as strong as our courage. ‘We must rid our valley of the Taliban, and then no one has to feel this fear,’ he said.

In times of crisis we Pashtuns resort to the old trusted ways, so in 2008 elders in Swat created an assembly called the Qaumi Jirga to challenge Fazlullah. Three local men, Mukhtar Khan Yousafzai, Khurshid Kakajee and Zahid Khan went from *hujra* to *hujra* persuading elders to join together. The senior elder was a white-bearded man of seventy-four called Abdul Khan Khaliq who had been one of the Queen’s bodyguards when she had visited Swat to stay with our wali. Even though my father was not an elder or a khan, he was chosen as spokesperson as he was not afraid to speak out. Though he was more poetic in Pashto, he could speak our national language, Urdu, and English fluently, which meant he was an effective communicator outside Swat as well as inside.

Every day, on behalf of the Swat Council of Elders, he was at seminars or on the media challenging Fazlullah. ‘What are you doing?’ he would ask. ‘You are playing havoc with our lives and our culture.’

My father would say to me, ‘Any organisation which works for peace, I will join. If you want to resolve a dispute or come out from conflict, the very first thing is to speak the truth. If you have a headache and tell the doctor you have a stomach ache, how can the doctor help? You must speak thetruth.The truth will abolish fear.’

When he met his fellow activists, particularly his old friends Ahmad Shah, Mohammad Farooq andZahid Khan, I often went with him. Ahmad Shah also had a school, where Mohammad Farooq worked, and they would sometimes gather on his lawn. Zahid Khan was a hotel owner and had a big *hujra*. When they came to our house I would bring them tea then sit quietly listening

as they discussed what to do. ‘Malala is not just the daughter of Ziauddin,’ they would say; ‘she is the daughter of all of us.’

They went back and forth to Peshawar and Islamabad and gave lots of interviews on the radio, particularly to the Voice of America and the BBC, taking turns so there would always be one of them available. They told people that what was happening in Swat was not about Islam. My father said the Taliban presence in Swat was not possible without the support of some in the army and the bureaucracy. The state is meant to protect the rights of its citizens, but it’s a very difficult situation when you can’t tell the difference between state and non-state and can’t trust the state to protect you against non-state.

Our military and ISI are very powerful and most people did not like to voice these things publicly, but my father and many of his friends were not scared. ‘What you are doing is against our people and against Pakistan,’ he would say. ‘Don’t support Talibanisation, it’s inhuman. We are told that Swat is being sacrificed for the sake of Pakistan, but no one and nothing should be sacrificed for the state. A state is like a mother, and a mother never deserts or cheats her children.’

He hated the fact that most people would not speak up. In his pocket he kept a poem written by Martin Niemöller, who had lived in Nazi Germany.

First they came for the communists,
and I didn’t speak out because I wasn’t a communist.
Then they came for the socialists,
and I didn’t speak out because I wasn’t a socialist.
Then they came for the trade unionists,
and I didn’t speak out because I wasn’t a trade unionist.
Then they came for the Jews,
and I didn’t speak out because I was not a Jew.
Then they came for the Catholics,
and I didn’t speak out because I was not a Catholic.
Then they came for me,

and there was no one left to speak for me.

I knew he was right. If people were silent nothing would change.

At school my father organised a peace march and encouraged us to speak out against what was happening. Moniba put it well. 'We Pashtuns are a religion-loving people,' she said. 'Because of the Taliban, the whole world is claiming we are terrorists. This is not the case. We are peace-loving.
Our mountains, our trees, our flowers – everything in our valley is about peace.' A group of us girls gave an interview on ATV Khyber, the only privately owned Pashto television channel, about girls dropping out of school due to militancy. Teachers helped us beforehand on how to respond to questions. I wasn't the only one to be interviewed. When we were eleven and twelve, we did them together, but as we turned thirteen or fourteen my friends' brothers and fathers didn't allow them because they had entered puberty and should observe purdah and also they were afraid.

One day I went on Geo, which is one of the biggest news channels in our country. There was a wall of screens in their office. I was astonished to see so many channels. Afterwards I thought, *The media needs interviews. They want to interview a small girl, but the girls are scared, and even if they're not, their parents won't allow it. I have a father who isn't scared, who stands by me. He said, 'You are a child and it's your right to speak.'* The more interviews I gave, the stronger I felt and the more support we received. I was only eleven but I looked older, and the media seemed to like hearing from a young girl. One journalist called me *takra jenai* – a 'bright shining young lady' and another said you are 'pakha jenai' – you are wise beyond your years. In my heart was the belief that God would protect me. If I am speaking for my rights, for the rights of girls, I am not doing anything wrong. It's my duty to do so. God wants to see how we behave in such situations. There is a saying in the Quran, 'The falsehood has to go and the truth will prevail.' *If one man,*

Fazlullah, can destroy everything, why can't one girl change it? I wondered. I prayed to God every night to give me strength.

The media in Swat were under pressure to give positive coverage to the Taliban – some even respectfully called the Taliban spokesman Muslim Khan 'School *dada'*, when in reality he was destroying schools. But many local journalists were unhappy about what was happening to their valley and they gave us a powerful platform as we would say things they didn't dare to.

We didn't have a car so we went by rickshaw, or one of my father's friends would take us to the interviews. One day my father and I went to Peshawar to appear on a BBC Urdu talk show hosted by a famous columnist called Wasatullah Khan. We went with my father's friend Fazal Maula and his daughter. Two fathers and two daughters. To represent the Taliban they had Muslim Khan, who wasn't in the studio. I was a bit nervous but I knew it was important as many people all over Pakistan would be listening. 'How dare the Taliban take away my basic right to education?' I said. There was no response from Muslim Khan because his phone interview had been pre-recorded. How can a recording respond to live questions?

Afterwards people congratulated me. My father laughed and said I should go into politics. 'Even as a toddler you talked like a politician,' he teased. But I never listened to my interviews. I knew these were very small steps.

Our words were like the eucalyptus blossoms of spring tossed away on the wind. The destruction of schools continued. On the night of 7 October 2008 we heard a series of faraway blasts. The next morning we learned that masked militants had entered the Sangota Convent School for girls and the Excelsior College for boys and blown them up using improvised explosive devices (IEDs). The teachers had already been evacuated as they had received threats earlier. These were famous schools, particularly Sangota, which dated from the time of the last wali and was well known for academic excellence. They were also big – Excelsior had over 2,000 pupils and Sangota had 1,000. My father went

there after the bombings and found the buildings completely razed to the ground. He gave interviews to TV reporters amid broken bricks and burned books and returned home horrified. ‘It’s all just rubble,’ he said.

Yet my father remained hopeful and believed there would be a day when there was an end to the destruction. What really depressed him was the looting of the destroyed schools – the furniture, the books, the computers were all stolen by local people. He cried when he heard this, ‘They are vultures jumping on a dead body.’

The next day he went on a live show on the Voice of America and angrily condemned the attacks. Muslim Khan, the Taliban spokesman, was on the phone. ‘What was so wrong with these two schools that you should bomb them?’ my father asked him.

Muslim Khan said that Sangota was a convent school teaching Christianity and that Excelsior was co-educational, teaching girls and boys together. ‘Both things are false!’ replied my father. ‘Sangota school has been there since the 1960s and never converted anyone to Christianity – in fact some of them converted to Islam. And Excelsior is only co-educational in the primary section.’

Muslim Khan didn’t answer. ‘What about their own daughters?’ I asked my father. ‘Don’t they want them to learn?’

Our headmistress Madam Maryam had studied at Sangota, and her younger sister Ayesha was a pupil there, so she and some of the other Sangota girls transferred to our school. The monthly school fees were never enough to cover all our outgoings so the extra fees were welcome, but my father was unhappy. He went everywhere he could demanding the reconstruction of both schools. Once he spoke at a big gathering and held up an audience member’s baby girl and said, ‘This girl is our future. Do we want her to be ignorant?’ The crowd agreed that they would sacrifice themselves before giving up their daughters’ education. The new girls had horrible stories. Ayesha told us how one day on the way home from Sangota she had seen a Taliban holding up the severed

head of a policeman by its hair, blood dripping from the neck. The Sangota girls were also very bright, which meant more competition. One of them, Rida, was excellent at making speeches. She became a good friend of mine and of Moniba's, which sometimes caused fights as three is a tricky number. Moniba often brought food to school and would just bring one spare fork. 'Are you my friend or Rida's?' I asked Moniba.

She laughed and said, 'We are all three good friends.'

By the end of 2008, around 400 schools had been destroyed by the Taliban. We had a new government under President Asif Zardari, the widower of Benazir, but they didn't seem to care about Swat. I told people things would be different if Zardari's own daughters were at school in Swat. There were suicide bombings all over the country: even the Marriott Hotel in Islamabad had been blown up.

In Swat it was safer in the town than in the remote areas and many of our family came from the countryside to stay with us. The house was small and got very crowded with the cousins who already lived with us. There was little to do. We couldn't play cricket in the street or on the roof like we used to. We played marbles in the yard over and over again. I fought non-stop with my brother Khushal, and he would go crying to our mother. Never in history have Khushal and Malala been friends.

I liked doing my hair in different styles and would spend ages in the bathroom in front of the mirror trying out looks I had seen in movies. Until I was eight or nine my mother used to cut my hair short like my brothers because of lice and also to make it easier to wash and brush as it would get messed up under my shawl. But finally I had persuaded her to let me grow it to my shoulders. Unlike Moniba, who has straight hair, mine is wavy, and I liked to twist it into curls or tie it into plaits. 'What are you doing in there *Pisho*?' my mother would shout. 'Our guests need the bathroom and everyone is having to wait for you.'

One of the worst times was the fasting month of Ramadan in 2008. During Ramadan no food or drink can pass a Muslim's lips in daylight hours. The Taliban bombed the power station so we

had no electricity, then a few days later they blasted the pipeline so we had no gas either. The price of the gas cylinders we used to buy from the market doubled so my mother had to cook on a fire like we did in the village. She didn't complain – food needed to be cooked and she cooked it, and there were others worse off than us. But there was no clean water and people started dying from cholera. The hospital could not cope with all the patients and had to erect big tents outside to treat people.

Though we had no generator at home, my father bought one to install at the school, and fresh water was pumped from a bore-hole, which all the children in the neighbourhood went to collect. Every day there would be lines of people waiting to fill jugs, bottles and drums. One of the neighbours got frightened. 'What are you doing?' he asked. 'If the Taliban find out you're giving water in the month of Ramadan they will bomb us!' My father replied that people would die either of thirst or bombings.

The days when we used to go for trips or for picnics seemed like a dream. No one would venture from their homes after sunset. The terrorists even blew up the ski lift and the big hotel in Malam Jabba where tourists used to stay. A holiday paradise turned into a hell where no tourist would venture.

Then, at the end of 2008, Fazlullah's deputy Maulana Shah Dauran announced on the radio that all girls' schools would close. From 15 January girls must not go to school, he warned. First I thought it was a joke. 'How can they stop us from going to school?' I asked my friends. 'They don't have the power. They are saying they will destroy the mountain but they can't even control the road.'

The other girls didn't agree with me. 'Who will stop them?' they asked. 'They have already blown up hundreds of schools and no one has done anything.'

My father used to say the people of Swat and the teachers would continue to educate our children until the last room, the last teacher and the last student was alive. My parents never once suggested I should withdraw from school, ever. Though we loved

school, we hadn’t realised how important education was until the Taliban tried to stop us. Going to school, reading and doing our homework wasn’t just a way of passing time, it was our future.

That winter it snowed and we built snow bears but without much joy. In winter the Taliban used to disappear into the mountains, but we knew they would be back and had no idea what was coming next. We believed school would start again. The Taliban could take our pens and books, but they couldn’t stop our minds from thinking.

12
The Bloody Square

THE BODIES WOULD be dumped in the square at night so that everyone would see them the next morning on their way to work. There was usually a note pinned to them saying omething like, 'This is what happens to an army agent', or 'Do not touch this body until 11 a.m. or you will be next.' On some of the nights of the killings there would also be earthquakes, which made people even more scared as we connect every natural disaster with a human disaster.

They killed Shabana on a bitterly cold night in January 2009. She lived in Banr Bazaar, a narrow street in our town of Mingora which is famous for its dancers and musicians. Shabana's father said a group of men had knocked at her door and asked her to dance for them. She went to put on her dancing clothes, and when she returned to dance for them, they pulled out their guns and threatened to slit her throat. This happened after the 9 p.m. curfew and people heard her screaming, 'I promise I'll stop! I promise I won't sing and dance again. Leave me, for God's sake! I am a woman, a Muslim. Don't kill me!' Then shots rang out and her bullet-ridden body was dragged to Green Chowk. So many bodies had been left there that people started calling it the Bloody Square.

We heard about Shabana's death the next morning. On Mullah FM, Fazlullah said she deserved to die for her immoral character and any other girls found performing in Banr Bazaar would be killed one by one. We used to be proud of our music and art in Swat, but now most of the dancers fled to Lahore or to Dubai. Musicians took out adverts in the papers saying they had stopped playing and were pledging to live pious lives to appease the Taliban.

People used to talk about Shabana's bad character, but our men both wished to see her dance and also despised her because she

was a dancer. A khan's daughter can't marry a barber's son and a barber's daughter can't marry a khan's son. We Pashtuns love shoes but don't love the cobbler; we love our scarves and blankets but do not respect the weaver. Manual workers made a great contribution to our society but received no recognition, and this is the reason so many of them joined the Taliban – to finally achieve status and power.

So people loved to see Shabana dance but didn't respect her, and when she was murdered they said nothing. Some even agreed with her killing, out of fear of the Taliban or because they were in favour of them. 'Shabana was not a Muslim,' they said. 'She was bad, and it was right that she was killed.'

I can't say that was the worst day. Around the time of Shabana's murder every day seemed like the worst day; every moment was the worst. The bad news was everywhere: this person's place bombed, this school blown up, public whippings. The stories were endless and overwhelming. A couple of weeks after Shabana's murder, a teacher in Matta was killed when he refused to pull his shalwar above the ankle the way the Taliban wore theirs. He told them that nowhere in Islam is this required. They hung him and then they shot his father.

I couldn't understand what the Taliban were trying to do. 'They are abusing our religion,' I said in interviews. 'How will you accept Islam if I put a gun to your head and say Islam is the true religion? If they want every person in the world to be Muslim why don't they show themselves to be good Muslims first?'

Regularly my father would come home shaken up due to the terrible things he had witnessed and heard about such as policemen beheaded, their heads paraded through the town. Even those who had defended Fazlullah at the start, believing his men were the real standard-bearers of Islam, and given him their gold, began to turn against him. My father told me about a woman who had donated generously to the Taliban while her husband was working abroad. When he came back and found out she had given away her gold he was furious. One night there was a small

explosion in their village and the wife cried. ‘Don’t cry,’ said her husband. ‘That is the sound of your earrings and nose studs. Now listen to the sound of your lockets and bangles.’

Yet still so few people spoke out. My father’s old rival in college politics Ihsan ul-Haq Haqqani had become a journalist in Islamabad and organised a conference on the situation in Swat. None of the lawyers and academics he invited from Swat to speak turned up. Only my father and some journalists went. It seemed that people had decided the Taliban were here to stay and they had better get along with them. ‘When you are in the Taliban you have 100 per cent life security,’ people would say. That’s why they volunteered their young men. The Taliban would come to peoples’ houses, demanding money to buy Kalashnikovs, or they would ask them to hand over their sons to fight with them. Many of the rich fled. The poor had no choice but to stay and survive the best they could. So many of our men had gone to the mines or to the Gulf to work, leaving their families fatherless, the sons were easy prey.

The threats began to come closer to home. One day Ahmad Shah received a warning from unknown people that they would kill him, so for a while he left for Islamabad to try to raise awareness there of what was happening to our valley. One of the worst things about that period was when we started to doubt one another. Fingers were even pointed at my father. ‘Our people are being killed, but this Ziauddin is so outspoken and he’s still alive! He must be a secret agent!’ Actually he had been threatened too but hadn’t told us. He had given a press conference in Peshawar demanding that the military act against the Taliban and go after their commanders. Afterwards people told him his name was heard on Mullah FM in a threat from Shah Douran.

My father brushed it off. But I was worried. He was outspoken and involved in so many groups and committees that he often wouldn’t come home till midnight. He started to sleep at one of his friend’s houses to protect us in case the Taliban came for him. He couldn’t bear the thought of being killed in front of us. I could

not sleep until he returned and I could lock the gate. When he was at home my mother would place a ladder in the back yard up to the outside wall so he could get down to the streetbelow if he was in sudden danger. He laughed at the idea. ‘Maybe Atal the squirrel could make it but not me!’

My mother was always trying to think up plans for what she would do if the Taliban came. She thought of sleeping with a knife under her pillow. I said I could sneak into the toilet and call the police. My brothers and I thought of digging a tunnel. Once again I prayed for a magic wand to make the Taliban disappear.

One day I saw my little brother Atal digging furiously in the garden. ‘What are you doing?’ I asked him.‘Making a grave,’ he said. Our news bulletins were full of killings and death so it was natural for Atal to think of coffins and graves. Instead of hide and seek and cops and robbers, children were now playing Army vs Taliban. They made rockets from branches and used sticks for Kalashnikovs; these were their sports of terror.

There was no one to protect us. Our own deputy commissioner, Syed Javid, was going to Taliban meetings, praying in their mosque and leading their meetings. He became a perfect *talib*. One target of the Taliban were non-overnmental organisations or NGOs, which they said were anti-Islam. When the NGOs received threatening letters from the Taliban and went to the DC to ask for his help, he wouldn’t even listen to them. Once in a meeting my father challenged him: ‘Whose orders are you representing? Fazlullah’s or thegovernment’s?’ We say in Arabic, ‘People follow their king.’ When the highest authority in your district joins the Taliban, then Talibanisation becomes normal.

We like conspiracy theories in Pakistan and we had many. Some believed the authorities were deliberately encouraging the Taliban. They said the army wanted the Taliban in Swat because the Americans wanted to use an airbase there to launch their drones. With the Taliban in the valley, our government could say to the Americans we can’t help you because we have our own problems. It was also a way to answer growing American

criticism that our military was helping the Taliban rather than trying to stop them. Now our government could respond, 'You say we are taking your money and aiding these terrorists, but if that's the case why are they attacking us too?'

'The Taliban obviously have the support of unseen forces,' said my father. 'But what's happening is not simple, and the more you want to understand the more complex it becomes.'

That year, 2008, the government even released Sufi Mohammad, the founder of the TNSM, from prison. He was said to be more moderate than his son-in-law Fazlullah, and there was hope that he would make a peace deal with the government to impose sharia law in Swat and release us from Taliban violence. My father was in favour of this. We knew this would not be the end, but my father argued that if we had *shariat* the Taliban would have nothing more to fight for. They should then put down their arms and live like ordinary men. If they did not, he said, this would expose them for what they really were.

The army still had their guns trained on the mountains overlooking Mingora. We would lie in bed listening to them *boom boom* all night. They would stop for five, ten or fifteen minutes and then start again the moment we drifted off to sleep. Sometimes we covered our ears or buried our heads under pillows, but the guns were close by and the noise was too loud to block out. Then the morning after, on TV, we would hear of more Taliban killings and wonder what the army was doing with all its booming cannons and why they could not even stop the daily broadcasts on Mullah FM.

Both the army and the Taliban were powerful. Sometimes their roadblocks were less than a kilometre apart on the same main roads. They would stop us but seemed unaware of each other's presence. It was unbelievable. No one understood why we were not being defended. People would say they were two sides of the same coin. My father said we common people were like chaff caught between the two stones of a water mill. But he still wasn't afraid. He said we should continue to speak out.

I am only human, and when I heard the guns my heart used to beat very fast. Sometimes I was very afraid but I said nothing, and it didn't mean I would stop going to school. But fear is very powerful and in the end it was this fear that had made people turn against Shabana. Terror had made people cruel. The Taliban bulldozed both our Pashtun values and the values of Islam.

I tried to distract myself by reading Stephen Hawking's *A Brief History of Time*, which answered big questions such as how the universe began and whether time could run backwards. I was only eleven years old and already I wished it could. We Pashtuns know the stone of revenge never decays, and when you do something wrong you will face the music. *But when would that be?* we continually asked ourselves.

13
The Diary of Gul Makai

IT WAS DURING one of those dark days that my father received a call from his friend Abdul Hai Kakar, a BBC radio correspondent based in Peshawar. He was looking for a female teacher or a schoolgirl to write a diary about life under the Taliban. He wanted to show the human side of the catastrophe in Swat. Initially Madam Maryam's younger sister Ayesha agreed, but her father found out and refused his permission saying it was too risky.

When I overheard my father talking about this, I said, 'Why not me?' I wanted people to know what was happening. Education is our right, I said. Just as it is our right to sing. Islam has given us this right and says that every girl and boy should go to school. The Quran says we should seek knowledge, study hard and learn the mysteries of our world.

I had never written a diary before and didn't know how to begin. Although we had a computer, there were frequent power cuts and few places had Internet access. So Hai Kakar would call me in the evening on my mother's mobile. He used his wife's phone to protect us as he said his own phone was bugged by the intelligence services. He would guide me, asking me questions about my day, and asking me to tell him small anecdotes or talk about my dreams. We would speak for half an hour or forty-five minutes in Urdu, even though we are both Pashtun, as the blog was to appear in Urdu and he wanted the voice to be as authentic as possible. Then he wrote up my words and once a week they would appear on the BBC Urdu website. He told me about Anne Frank, a thirteen-year-old Jewish girl who hid from the Nazis with her family in Amsterdam during the war. He told me she kept a diary about their lives all cramped together, about how they spent their days and about her own feelings. It was very sad as in the end the family was betrayed and arrested and Anne died in a

concentration camp when she was only fifteen. Later her diary was published and is a very powerful record.

Hai Kakar told me it could be dangerous to use my real name and gave me the pseudonym Gul Makai, which means 'cornflower' and is the name of the heroine in a Pashtun folk story. It's a kind of *Romeo and Juliet* story in which Gul Makai and Musa Khan meet at school and fall in love. But they are from different tribes so their love causes a war. However, unlike Shakespeare's play their story doesn't end in tragedy. Gul Makai uses the Quran to teach her elders that war is bad and they eventually stop fighting and allow the lovers to unite.

My first diary entry appeared on 3 January 2009 under the heading I AM AFRAID : 'I had a terrible dream last night filled with military helicopters and Taliban. I have had such dreams since the launch of the military operation in Swat.' I wrote about being afraid to go to school because of the Taliban edict and looking over my shoulder all the time. I also described something that happened on my way home from school: 'I heard a man behind me saying, "I will kill you." I quickened my pace and after a while I looked back to see if he was following me. To my huge relief I saw he was speaking on his phone, he must have been talking to someone else.'

It was thrilling to see my words on the website. I was a bit shy to start with but after a while I got to know the kind of things Hai Kakar wanted me to talk about and became more confident. He liked personal feelings and what he called my 'pungent sentences' and also the mix of everyday family life with the terror of the Taliban.

I wrote a lot about school as that was at the centre of our lives. I loved my royal-blue school uniform but we were advised to wear plain clothes instead and hide our books under our shawls. One extract was called DO NOT WEAR COLOURFUL CLOTHES. In it I wrote, 'I was getting ready for school one day and was about to put on my uniform when I remembered the advice of our principal, so that day I decided to wear my favourite pink dress.'

I also wrote about the burqa. When you're very young, you love the burqa because it's great for dressing up. But when you are made to wear it, that's a different matter. Also it makes walking difficult! One of my diary entries was about an incident that happened when I was out shopping with my mother and cousin in the Cheena Bazaar: 'There we heard gossip that one day a woman was wearing a shuttlecock burqa and fell over. When a man tried to help her she refused and said. "Don't help me, brother, as this will bring immense pleasure to Fazlullah." When we entered the shop we were going to, the shopkeeper laughed and told us he got scared thinking we might be suicide bombers as many suicide bombers wore the burqa.'

At school people started talking about the diary. One girl even printed it out and brought it in to show my father.
'It's very good,' he said with a knowing smile.
I wanted to tell people it was me, but the BBC correspondent had told me not to as it could be dangerous. I didn't see why as I was just a child and who would attack a child? But some of my friends recognised incidents in it. And I almost gave the game away in one entry when I said, 'My mother liked my pen name Gul Makai and joked to my father we should change my name . . . I also like the name because my real name means "grief-stricken".'

The diary of Gul Makai received attention further afield. Some newspapers printed extracts. The BBC even made a recording of it using another girl's voice, and I began to see that the pen and the words that come from it can be much more powerful than machine guns, tanks or helicopters. We were learning how to struggle. And we were learning how powerful we are when we speak.

Some of our teachers stopped coming to school. One said he had been ordered by Mullah Fazlullah to help build his centre in Imam Deri. Another said he'd seen a beheaded corpse on the way in and could no longer risk his life to teach. Many people were scared. Our neighbours said the Taliban were instructing people to

make it known to the mosque if their daughters were unmarried so they could be married off, probably to militants.

By the start of January 2009 there were only ten girls in my class when once there had been twentyseven. Many of my friends had left the valley so they could be educated in Peshawar, but my father insisted we would not leave. 'Swat has given us so much. In these tough days we must be strong for our valley,' he said.

One night we all went for dinner at the house of my father's friend Dr Afzal, who runs a hospital. After dinner, when the doctor was driving us home, we saw masked Taliban on both sides of the road carrying guns. We were terrified. Dr Afzal's hospital was in an area that had been taken over by the Taliban. The constant gunfire and curfews had made it impossible for the hospital to function, so he had moved it to Barikot. There had been an outcry, and the Taliban spokesman Muslim Khan had called on the doctor to reopen it. He had asked for my father's advice. My father told him, 'Don't accept good things from bad people.' A hospital protected by the Taliban was not a good idea so he refused.

Dr Afzal did not live far from us, so once we were safely home, my father insisted on going back with him in case he was targeted by the Taliban. As he and my father drove back, Dr Afzal nervously asked him, 'What names shall we give if they stop us?'

'You are Dr Afzal and I am Ziauddin Yousafzai,' replied my father. 'These bloody people. We haven't done anything wrong. Why should we change our names – that's what criminals do.'

Fortunately the Taliban had disappeared. We all breathed a big sigh of relief when my father phoned to say they were safe.

I didn't want to give in either. But the Taliban's deadline was drawing closer: girls had to stop going to school. How could they stop more than 50,000 girls from going to school in the twenty-first century? I kept hoping something would happen and the schools would remain open. But finally the deadline was upon us. We were determined that the Khushal School bell would be the last to stop ringing. Madam Maryam had even got married so she

could stay in Swat. Her family had moved to Karachi to get away from the conflict and, as a woman, she could not live alone.

Wednesday 14 January was the day my school closed, and when I woke up that morning I saw TV cameras in my bedroom. A Pakistani journalist called Irfan Ashraf was following me around, even as I said my prayers and brushed my teeth.

I could tell my father was in a bad mood. One of his friends had persuaded him to participate in a documentary for the *New York Times* website to show the world what was happening to us. A few weeks before, we had met the American video journalist Adam Ellick in Peshawar. It was a funny meeting as he conducted a long interview with my father in English and I didn't say a word. Then he asked if he could talk to me and began asking questions using Irfan as an interpreter. After about ten minutes of this he realised from my facial expressions that I could understand him perfectly. 'You speak English?' he asked me.

'Yes, I was just saying there is a fear in my heart,' I replied.

Adam was astonished. 'What's wrong with you people?' he asked Irfan and my father. 'She speaks better English than the rest of you and you're translating for her!' We all laughed.

The original idea for the documentary had been to follow my father on the last day of school, but at the end of the meeting Irfan asked me, 'What would you do if there comes a day when you can't go back to your valley and school?' I said this wouldn't happen. Then he insisted and I started to weep. I think it was then that Adam decided he should focus on me.

Adam could not come to Swat because it was too dangerous for foreigners. When Irfan and a cameraman arrived in Mingora, our uncle, who was staying with us, said over and over that it was too risky to have cameras in our house. My father also kept telling them to hide the cameras. But they had come a long way and it's hard for us as Pashtuns to refuse hospitality. Besides, my father knew this could be our megaphone to the outside world. His friend had told him it would make far more impact than him roaming from pillar to post.

I had done a lot of television interviews and enjoyed speaking into the microphone so much that my friends would tease me. But I had never done anything like this. ‘Be natural,’ Irfan told me. That wasn’t easy with a camera trained on me everywhere I went even as I brushed my teeth. I showed them the uniform I couldn’t wear and told them I was scared that if the Taliban caught me going to school they would throw acid in my face as they had done to girls in Afghanistan.

We had a special assembly that final morning but it was hard to hear with the noise of helicopters overhead. Some of us spoke out against what was happening in our valley. The bell rang for the very last time, and then Madam Maryam announced it was the winter holidays. But unlike in other years no date was announced for the start of next term. Even so, some teachers still gave us homework. In the
yard I hugged all my friends. I looked at the honours board and wondered if my name would ever appear on it again. Exams were due in March but how could they take place? Coming first didn’t matter if you couldn’t study at all. When someone takes away your pens you realise quite how important education is.

Before I closed the school door I looked back as if it were the last time I would ever be at school. That’s the closing shot in one part of the documentary. In reality I went back inside. My friends and I didn’t want that day to end so we decided to stay on for a while longer. We went to the primary school where there was more space to run around and played cops and robbers. Then we played mango mango, where you make a circle and sing, then when the song stops everyone has to freeze. Anyone who moves or laughs is out.

We came home from school late that day. Usually we leave at 1 p.m. but that day we stayed till three. Before we left, Moniba and I had an argument over something so silly I can’t remember what it was. Our friends couldn’t believe it. ‘You two always argue when there’s an important occasion!’ they said. It wasn’t a good way to leave things.

I told the documentary makers, ‘They cannot stop me. I will get my education if it’s at home, school or somewhere else. This is our request to the world – to save our schools, save our Pakistan, save our Swat.’

When I got home, I cried and cried. I didn’t want to stop learning. I was only eleven years old but I felt as though I had lost everything. I had told everyone in my class that the Taliban wouldn’t go through with it. ‘They’re just like our politicians – they talk the talk but they won’t do anything,’ I’d said. But then they went ahead and closed our school and I felt embarrassed. I couldn’t control myself. I was crying, my mother was crying but my father insisted, ‘You will go to school.’

For him the closing of the schools also meant the loss of business. The boys’ school would reopen after the winter holidays but the loss of the girls’ school represented a big cut in our income. More than half the school fees were overdue and my father spent the last day chasing money to pay the rent, the utility bills and the teachers’ salaries.

That night the air was full of artillery fire and I woke up three times. The next morning everything had changed. I began to think that maybe I should go to Peshawar or abroad or maybe I could ask our teachers to form a secret school in our home, as some Afghans had done during Taliban rule. Afterwards I went on as many radio and TV channels as possible. ‘They can stop us going to school but they can’t stop us learning,’ I said. I sounded hopeful but in my heart I was worried. My father and I went to Peshawar and visited lots of places to tell people what was happening. I spoke of the irony of the Taliban wanting female teachers and doctors for women yet not letting girls go to school to qualify for these jobs.

Once Muslim Khan had said girls should not go to school and learn Western ways. This from a man who had lived so long in America! He insisted he would have his own education system. ‘What would Muslim Khan use instead of the stethoscope and the thermometer?’ my father asked. ‘Are there any Eastern

instruments which will treat the sick?' The Taliban is against education because they think that when a child reads a book or learns English or studies science he or she will become Westernised.

But I said, 'Education is education. We should learn everything and then choose which path to follow.' Education is neither Eastern nor Western, it is human.

My mother used to tell me to hide my face when I spoke to the media because at my age I should be in purdah and she was afraid for my safety. But she never banned me from doing anything. It was a time of horror and fear. People often said the Taliban might kill my father but not me. 'Malala is a child,' they would say, 'and even the Taliban don't kill children.'

But my grandmother wasn't so sure. Whenever my grandmother saw me speaking on television, or leaving the house she would pray, 'Please God make Malala like Benazir Bhutto but do not give her Benazir's short life.'

After my school closed down I continued to write the blog. Four days after the ban on girls' schools, five more were destroyed. 'I am quite surprised,' I wrote, 'because these schools had closed so why did they also need to be destroyed? No one has gone to school following the Taliban's deadline. The army is doing nothing about it. They are sitting in their bunkers on top of the hills. They slaughter goats and eat with pleasure.' I also wrote about people going to watch the floggings announced on Mullah FM, and the fact that the police were nowhere to be seen.

One day we got a call from America, from a student at Stanford University. Her name was Shiza Shahid and she came from Islamabad. She had seen the *New York Times* documentary *Class Dismissed in Swat Valley* and tracked us down. We saw then the power of the media and she became a great support to us. My father was almost bursting with pride at how I came across on the documentary. 'Look at her,' he told Adam Ellick. 'Don't you think she is meant for the skies?' Fathers can be very embarrassing.

Adam took us to Islamabad. It was the first time I had ever visited. Islamabad was a beautiful place with nice white bungalows and broad roads, though it has none of the natural beauty of Swat. We saw the Red Mosque where the siege had taken place, the wide, wide Constitution Avenue leading to the white-colonnaded buildings of the Parliament House and the Presidency, where Zardari now lived. General Musharraf was in exile in London.

We went to shops where I bought school books and Adam bought me DVDs of American TV programmes like *Ugly Betty*, which was about a girl with big braces and a big heart. I loved it and dreamed of one day going to New York and working on a magazine like her. We visited the Lok Virsa museum, and it was a joy to celebrate our national heritage once again. Our own museum in Swat had closed. On the steps outside an old man was selling popcorn. He was a Pashtun like us, and when my father asked if he was from Islamabad he replied, 'Do you think Islamabad can ever belong to us Pashtuns?' He said he came from Mohmand, one of the tribal areas, but had to flee because of a military operation. I saw tears in my parents' eyes.

Lots of buildings were surrounded by concrete blocks, and there were checkpoints for incoming vehicles to guard against suicide bombs. When our bus hit a pothole on the way back my brother Khushal, who had been asleep, jerked awake. 'Was that a bomb blast?' he asked. This was the fear that filled our daily lives. Any small disturbance or noise could be a bomb or gunfire.

On our short trips we forgot our troubles in Swat. But we returned to the threats and danger as we entered our valley once again. Even so, Swat was our home and we were not ready to leave it.

Back in Mingora the first thing I saw when I opened my wardrobe was my uniform, school bag and geometry set. I felt so sad. The visit to Islamabad had been a lovely break, but this was my reality now.

14
A Funny Kind of Peace

WHEN MY BROTHERS' schools reopened after the winter break, Khushal said he would rather stay at home like me. I was cross. 'You don't realise how lucky you are!' I told him. It felt strange to have no school. We didn't even have a television set as someone had stolen ours while we were in Islamabad, using my father's 'getaway' ladder to get inside.

Someone gave me a copy of *The Alchemist* by Paulo Coelho, a fable about a shepherd boy who travels to the Pyramids in search of treasure when all the time it's at home. I loved that book and read it over and over again. 'When you want something all the universe conspires in helping you achieve it,' it says. I don't think that Paulo Coelho had come across the Taliban or our useless politicians.

What I didn't know was that Hai Kakar was holding secret talks with Fazlullah and his commanders. He had got to know them in interviews, and was urging them to rethink their ban on girls' education.

'Listen, Maulana,' he told Fazlullah. 'You killed people, you slaughtered people, you beheaded people, you destroyed schools and still there was no protest in Pakistan. But when you banned girls' education people spoke out. Even the Pakistan media, which has been so soft on you till now, is outraged.'

The pressure from the whole country worked, and Fazlullah agreed to lift the ban for girls up to ten years old – Year 4. I was in Year 5 and some of us pretended we were younger than we were. We started going to school again, dressed in ordinary clothes and hiding our books under our shawls. It was risky but it was the only ambition I had back then. We were lucky too that Madam Maryam was brave and resisted the pressure to stop working. She had known my father since she was ten and they

trusted each other completely – she used to signal to him to wind up when he spoke for too long, which was often!

'The secret school is our silent protest,' she told us.

I didn't write anything about it in my diary. If they had caught us they would have flogged or even slaughtered us as they had Shabana. Some people are afraid of ghosts, some of spiders or snakes – in those days we were afraid of our fellow human beings.

On the way to school I sometimes saw the Taliban with their caps and long dirty hair. Most of the time they hid their faces. They were awkward, horrible-looking. The streets of Mingora were very empty as a third of the inhabitants had left the valley. My father said you couldn't really blame people for leaving as the government had no power. There were now 12,000 army troops in the region – four times as many as their estimates of the Taliban – along with tanks, helicopters and sophisticated weapons. Yet seventy per cent of Swat was under Taliban control.

About a week after we had returned to school, on 16 February 2009, we were woken one night by the sound of gunfire. Our people traditionally fire rifles in celebration of births and weddings but even that had stopped during the conflict. So at first we thought we were in danger. Then we heard the news. The gunfire was in celebration. A peace deal had been struck between the Taliban and the provincial government, which was now under the control of the ANP, not the mullahs. The government had agreed to impose sharia law throughout Swat and in return the militants would stop fighting. The Taliban agreed to a ten-day truce and, as a peace gesture, released a Chinese telephone engineer who they had kidnapped six months before.

We were happy too – my father and I had often spoken in favour of a peace deal – but we questioned how it would work. People hoped that the Taliban would settle down, go back to their homes and live as peaceful citizens. They convinced themselves that the *shariat* in Swat would be different to the Afghan version – we would still have our girls' schools and there would be no morality police. Swat would be Swat just with a different justice

system. I wanted to believe this but I was worried. I thought, *Surely how the system works depends on the people overseeing it? The Taliban.*

And it was hard to believe it was all over! More than a thousand ordinary people and police had been killed. Women had been kept in purdah, schools and bridges had been blown up, businesses had closed. We had suffered barbaric public courts and violent justice and had lived in a constant state of fear. And now it was all to stop.

At breakfast I suggested to my brothers that we should talk of peace now and not of war. As ever, they ignored me and carried on with their war games. Khushal had a toy helicopter and Atal a pistol made of paper, and one would shout, 'Fire!' and the other, 'Take position.' I didn't care. I went and looked at my uniform, happy that I would soon be able to wear it openly. A message came from our headmistress that exams would take place in the first week of March. It was time to get back to my books.

Our excitement did not last long. Just two days later I was on the roof of the Taj Mahal Hotel giving an interview about the peace deal to a well-known reporter called Hamid Mir when we got the news that another TV reporter we knew had been killed. His name was Musa Khan Khel, and he had often interviewed my father. That day he had been covering a peace march led by Sufi Mohammad. It wasn't really a march but a cavalcade of cars. Afterwards Musa Khan's body was found nearby. He had been shot several times and his throat partly slit. He was twenty-eight years old.

My mother was so upset when we told her that she went to bed in tears. She was worried that violence had returned to the valley so soon after the peace deal. Was the deal merely an illusion? She wondered.

A few days later, on 22 February, a 'permanent ceasefire' was announced by Deputy Commissioner Syed Javid at the Swat Press Club in Mingora. He appealed to all Swatis to return. The Taliban spokesman Muslim Khan then confirmed they had agreed an

indefinite ceasefire. President Zardari would sign the peace deal into law. The government also agreed to pay compensation to the families of victims. Everyone in Swat was jubilant, but I felt the happiest because it meant school would reopen properly. The Taliban said girls could go to school after the peace agreement but they should be veiled and covered. We said OK, if that's what you want, as long as we can live our lives.

Not everyone was happy about the deal. Our American allies were furious. 'I think the Pakistan government is basically abdicating to the Taliban and the extremists,' said Hillary Clinton, the US Secretary of State. The Americans were worried the deal meant surrender. The Pakistani newspaper *Dawn* wrote in an editorial that the deal sent 'a disastrous signal – fight the state militarily and it will give you what you want and get nothing in return'.

But none of those people had to live here. We needed peace whoever brought it. In our case it happened to be a white-bearded militant called Sufi Mohammad. He made a 'peace camp' in Dir and sat there in our famous mosque, Tabligh Markaz, like the master of our land. He was the guarantor that the Taliban would lay down their arms and there would be peace in the valley. People visited him to pay homage and kiss his hand because they were tired of war and suicide bombings.

In March I stopped writing my blog as Hai Kakar thought there was not much more to say. But to our horror things didn't change much. If anything the Taliban became even more barbaric. They were now state-sanctioned terrorists. We were disillusioned and disappointed. The peace deal was merely a mirage. One night the Taliban held what we call a flag march near our street and patrolled the roads with guns and sticks as if they were the army.

They were still patrolling the Cheena Bazaar. One day my mother went shopping with my cousin as she was getting married and wanted to buy things for her wedding. A *talib* accosted them and blocked their way. 'If I see you again wearing a scarf but no burqa I will beat you,' he said. My mother is not easily scared and

remained composed. ‘Yes, OK. We will wear burqas in future,’ she told him. My mother always covers her head but the burqa is not part of our Pashtun tradition.

We also heard that Taliban had attacked a shopkeeper because an unaccompanied woman was looking at the lipsticks in his beauty shop. ‘There is a banner in the market saying women are not allowed to be in your shop unaccompanied by a male relative and you have defied us,’ they said. He was badly beaten and nobody helped him.

One day I saw my father and his friends watching a video on his phone. It was a shocking scene. A teenage girl wearing a black burqa and red trousers was lying face down on the ground being flogged in broad daylight by a bearded man in a black turban. ‘Please stop it!’ she begged in Pashto in between screams and whimpers as each blow was delivered. ‘In the name of Allah, I am dying!’ You could hear the Taliban shouting, ‘Hold her down. Hold her hands down.’ At one point during the flogging her burqa slips and they stop for a moment to adjust it then carry on beating her. They hit her thirty-four times. A crowd had gathered but did nothing. One of the woman’s relatives even volunteered to help hold her down.

A few days later the video was everywhere. A woman film-maker in Islamabad got hold of it and it was shown on Pakistan TV over and over, and then round the world. People were rightly outraged, but this reaction seemed odd to us as it showed they had no idea of the awful things going on in our valley. I wished their outrage extended to the Taliban’s banning of girls’ education. Prime Minister Yusuf Raza Gilani called for an inquiry and made a statement saying the flogging of the girl was against the teachings of Islam. ‘Islam teaches us to treat women politely,’ he said.

Some people even claimed the video was fake. Others said that the flogging had taken place in January, before the peace deal, and had been released now to sabotage it. But Muslim Khan confirmed it was genuine. ‘She came out of her house with a man

who was not her husband so we had to punish her,' he said. 'Some boundaries cannot be crossed.'

Around the same time in early April another well-known journalist called Zahid Hussain came to Swat. He went to visit the DC at his official residence and found him hosting what appeared to be a celebration of the Taliban takeover. There were several senior Taliban commanders with armed escorts including Muslim Khan and even Faqir Mohammad, the leader of the militants in Bajaur, who were in the middle of a bloody fight with the army. Faqir had a $200,000 bounty on his head yet there he was sitting in a government official's house having dinner. We also heard that an army brigadier went to prayers led by Fazlullah.

'There cannot be two swords in one sheath,' said one of my father's friends. 'There cannot be two kings in one land. Who is in charge here – the government or Fazlullah?'

But we still believed in peace. Everyone was looking forward to a big outdoor public meeting on 20 April when Sufi Mohammad would address the people of Swat.

We were all at home that morning. My father and brothers were standing outside when a group of teenage Taliban went past playing victory songs on their mobiles. 'Oh look at them, *Aba*,' said Khushal. 'If I had a Kalashnikov I would kill them.'

It was a perfect spring day. Everyone was excited because they hoped Sufi Mohammad would proclaim peace and victory and ask the Taliban to lay down their arms. My father didn't attend the gathering. He watched it from the roof of Sarosh Academy, the school run by his friend Ahmad Shah where he and other activists often gathered in the evenings. The roof overlooked the stage so some media had set up their cameras there.

There was a huge crowd – between 30,000 and 40,000 people – wearing turbans and singing Taliban and jihadi songs. 'It was complete Talibanisation humming,' said my father. Liberal progressives like him did not enjoy the singing and chanting. They thought it was toxic, especially at times like this.

Sufi Mohammad was sitting on the stage with a long queue of people waiting to pay homage. The meeting started with recitations from the Chapter of Victory – a *surah* from the Quran – followed by speeches from different leaders in the five districts of our valley – Kohistan, Malakand, Shangla, Upper Dir and Lower Dir. They were all very enthusiastic as each one was hoping to be made the *amir* of their district so they could be in charge of imposing *shariat*. Later these leaders would be killed or thrown in jail, but back then they dreamed of power. So everyone spoke with great authority, celebrating like the Prophet when he conquered Mecca, though his speech was one of forgiveness not cruel victory.

Then it was Sufi Mohammad's turn. He was not a good speaker. He was very old and seemed in poor health and rambled on for forty-five minutes. He said totally unexpected things as if he had someone else's tongue in his mouth. He described Pakistan's courts as un-Islamic and said, 'I consider Western democracy a system imposed on us by the infidels. Islam does not allow democracy or elections.'

Sufi Mohammad said nothing about education. He didn't tell the Taliban to lay down their arms and leave the *hujras*. Instead he appeared to threaten the whole nation. 'Now wait, we are coming to Islamabad,' he shouted.

We were shocked. It was like when you pour water onto a blazing fire – the flames are suddenly extinguished. People were bitterly disappointed and started abusing him. 'What did that devil say?'
people asked. 'He's not for peace; he wants more killing.' My mother put it best. 'He had the chance to be the hero of history but didn't take it,' she said. Our mood on the way home was the exact opposite of what we had felt on the way to the meeting.

That night my father spoke on Geo TV and told Kamran Khan that people had had high hopes but were disappointed. Sufi Mohammad didn't do what he should have done. He was

supposed to seal the peace deal with a speech calling for reconciliation and an end to violence.

People had different conspiracy theories about what had happened. Some said Sufi Mohammad had gone mad. Others said he had been ordered to deliver this speech and been warned, 'If you don't, there are four or five suicide bombers who will blast you and everyone there.' People said he had looked uneasy on stage before he spoke. They muttered about hidden hands and unseen forces. *What does it matter?* I wondered. *The point is we are a Taliban state*.

My father was again busy speaking at seminars on our troubles with the Taliban. At one the information minister for our province said Talibanisation was the result of our country's policy of training militants and sending them to Afghanistan, first to fight the Russians, then to fight the Americans. 'If we had not put guns in the hands of madrasa students at the behest of foreign powers we would not be facing this bloodbath in the tribal areas and Swat,' he said.

It soon became clear that the Americans had been right in their assessment of the deal. The Taliban believed the Pakistani government had given in and they could do what they liked. They streamed into Buner, the next district to the south-east of Swat and only sixty-five miles from Islamabad. People in Buner had always resisted the Taliban but they were ordered by the local authorities not to fight. As the militants arrived with their RPGs and guns, the police abandoned their posts, saying the Taliban had 'superior weapons', and people fled. The Taliban set up *shariat* courts in all districts and broadcast sermons from mosques calling on the local youth to join them.

Just as they had in Swat, they burned TV sets, pictures, DVDs and tapes. They even took control of the famous shrine of a Sufi saint, Pir Baba, which was a pilgrimage site. People would visit to pray for spiritual guidance, cures for their ailments and even happy marriages for their children. But now it was locked and bolted.

People in the lower districts of Pakistan became very worried as the Taliban moved towards the capital. Everyone seemed to have seen the video of the girl in the black burqa being flogged and were asking, ‘Is this what we want in Pakistan?’ Militants had killed Benazir, blown up the country’s bestknown hotel, killed thousands of people in suicide bombings and beheadings and destroyed hundreds of schools. What more would it take for the army and government to resist them?

In Washington the government of President Obama had just announced it was sending 21,000 more troops to Afghanistan to turn round the war against the Taliban. But now they seemed to be more alarmed about Pakistan than Afghanistan. Not because of girls like me and my school but because our country has more than 200 nuclear warheads and they were worried about who was going to control them. They talked about stopping their billions of dollars in aid and sending troops instead.

At the start of May our army launched Operation True Path to drive the Taliban out of Swat. We heard they were dropping hundreds of commandos from helicopters into the mountains in the north. More troops appeared in Mingora too. This time they would clear the town. They announced over megaphones that all residents should leave.

My father said we should stay. But the gunfire kept us awake most nights. Everyone was in a continuous state of anxiety. One night we were woken up by screaming. We had recently got some pets – three white chickens and a white rabbit that one of Khushal’s friends had given him and which we let wander around the house. Atal was only five then and really loved that rabbit so it used to sleep under my parents’ bed. But it used to wee everywhere so that night we put it outside. Around midnight a cat came and killed it. We all heard the rabbit’s agonised cries. Atal would not stop weeping. ‘Let the sun come and I will teach that cat a lesson tomorrow,’ he said. ‘I will kill him.’ It seemed like a bad omen.

15
Leaving the Valley

LEAVING THE VALLEY was harder than anything I had done before. I remembered the *tapa* my grandmother used to recite: 'No Pashtun leaves his land of his own sweet will./ Either he leaves from poverty or he leaves for love.' Now we were being driven out for a third reason the *tapa* writer had never imagined – the Taliban.

Leaving our home felt like having my heart ripped out. I stood on our roof looking at the mountains, the snow-topped Mount Elum where Alexander the Great had reached up and touched Jupiter. I looked at the trees all coming into leaf. The fruit of our apricot tree might be eaten by someone else this year. Everything was silent, pin-drop silent. There was no sound from the river or the wind; even the birds were not chirping.

I wanted to cry because I felt in my heart I might never see my home again. The documentary makers had asked me how I would feel if one day I left Swat and never came back. At the time I had thought it was a stupid question, but now I saw that everything I could not imagine happening had happened. I thought my school would not close and it had. I thought we would never leave Swat and we were just about to. I thought Swat would be free of the Taliban one day and we would rejoice, but now I realised that might not happen. I started to cry. It was as if everyone had been waiting for someone else to start. My cousin's wife, Honey, started weeping, then all of us were crying. But my mother was very composed and courageous.

I put all my books and notebooks in my school bag then packed another bag of clothes. I couldn't think straight. I took the trousers from one set and the top from another so I had a bag of things which didn't match. I didn't take any of my school awards or photos or personal belongings as we were travelling in someone else's car and there was little room. We didn't own anything

expensive like a laptop or jewellery – our only valuable items had been our TV, a fridge and a washing machine. We didn't lead a life of luxury – we Pashtuns prefer to sit on floors rather than chairs. Our house has holes in the walls, and every plate and cup is cracked.

My father had resisted leaving till the end. But then some of my parents' friends had lost a relative in gunfire so they went to the house to offer prayers of condolences even though nobody was really venturing out. Seeing their grief made my mother determined to leave. She told my father, 'You don't have to come, but I am going and I will take the children to Shangla.' She knew he couldn't let her go alone. My mother had had enough of the gunfire and tension and called Dr Afzal and begged him to persuade my father to leave. He and his family were going so they offered us a lift. We didn't have a car so we were lucky that our neighbours, Safina and her family, were also leaving and could fit some of us in their car while the rest would go with Dr Afzal.

On 5 May 2009 we became IDPs. Internally displaced persons. It sounded like a disease.

There were a lot of us – not just us five but also my grandmother, my cousin, his wife, Honey, and their baby. My brothers also wanted to take their pet chickens – mine had died because I washed it in cold water on a winter's day. It wouldn't revive even when I put it in a shoebox in the house to keep it warm and got everyone in the neighbourhood to pray for it. My mother refused to let the chickens come. What if they make a mess in the car? she asked. Atal suggested we buy them nappies! In the end we left them with a lot of water and corn. She also said I must leave my school bag because there was so little room. I was horrified. I went and whispered Quranic verses over the books to try and protect them.

Finally everyone was ready. My mother, father, grandmother, my cousin's wife and baby and my brothers all squashed into the back of Dr Afzal's van along with his wife and children. There were children in the laps of adults and smaller children in their

laps. I was luckier – there were fewer people in Safina's car – but I was devastated by the loss of my school bag. Because I had packed my books separately, I had had to leave them all behind.

We all said *surahs* from the Quran and a special prayer to protect our sweet homes and school. Then Safina's father put his foot on the pedal and away we drove out of the small world of our street, home and school and into the unknown. We did not know if we would ever see our town again. We had seen pictures of how the army had flattened everything in an operation against militants in Bajaur and we thought everything we knew would be destroyed.

The streets were jam-packed. I had never seen them so busy before. There were cars everywhere, as well as rickshaws, mule carts and trucks laden with people and their belongings. There were even motorbikes with entire families balanced on them. Thousands of people were leaving with just the clothes they had on their backs. It felt as if the whole valley was on the move. Some people believe that the Pashtuns descend from one of the lost tribes of Israel, and my father said, 'It is as though we are the Israelites leaving Egypt, but we have no Moses to guide us.' Few people knew where they were going, they just knew they had to leave. This was the biggest exodus in Pashtun history.

Usually there are many ways out of Mingora, but the Taliban had cut down several huge apple trees and used them to block some routes so everyone was squashed onto the same road. We were an ocean of people. The Taliban patrolled the roads with guns and watched us from the tops of buildings. They were keeping the cars in lines but with weapons not whistles. 'Traffic Taliban,' we joked to try and keep our spirits up. At regular intervals along the road we passed army and Taliban checkpoints side by side. Once again the army was seemingly unaware of the Taliban's presence.

'Maybe they have poor eyesight,' we laughed, 'and can't see them.'

The road was heaving with traffic. It was a long slow journey and we were all very sweaty crammed in together. Usually car journeys are an adventure for us children as we rarely go anywhere. But this was different. Everyone was depressed.

Inside Dr Afzal's van my father was talking to the media, giving a running commentary on the exodus from the valley. My mother kept telling him to keep his voice down for fear the Taliban would hear him. My father's voice is so loud my mother often jokes that he doesn't need to make phone calls, he can just shout.

Finally we got through the mountain pass at Malakand and left Swat behind. It was late afternoon by the time we reached Mardan, which is a hot and busy city.

My father kept insisting to everyone 'in a few days we will return. Everything will be fine.' But we knew that was not true.

In Mardan there were already big camps of white UNHCR tents like those for Afghan refugees in Peshawar. We weren't going to stay in the camps because it was the worst idea ever. Almost two million of us were fleeing Swat and you couldn't have fitted two million people in those camps. Even if there was a tent for us, it was far too hot inside and there was talk that diseases like cholera were spreading. My father said he had heard rumours that some Taliban were even hiding inside the camps and harassing the women.

Those who could, stayed in the homes of local people or with family and friends. Amazingly threequarters of all the IDPs were put up by the people of Mardan and the nearby town of Swabi. They opened the doors of their homes, schools and mosques to the refugees. In our culture women are expected not to mix with men they are not related to. In order to protect women's purdah, men in families hosting the refugees even slept away from their own homes. They became voluntary IDPs. It was an astonishing example of Pashtun hospitality. We were convinced that if the exodus had been managed by the government many more would have died of hunger and illness.

As we had no relatives in Mardan we were planning to make our way to Shangla, our family village. So far we had driven in the opposite direction, but we had had to take the only lift we could get out of Swat.

We spent that first night in the home of Dr Afzal. My father then left us to go to Peshawar and alert people to what was happening. He promised to meet us later in Shangla. My mother tried very hard to persuade him to come with us but he refused. He wanted the people of Peshawar and Islamabad to be aware of the terrible conditions in which IDPs were living and that the military were doing nothing. We said goodbye and were terribly worried we wouldn't see him again.

The next day we got a lift to Abbottabad, where my grandmother's family lived. There we met up with my cousin Khanjee, who was heading north like us. He ran a boys' hostel in Swat and was taking seven or eight boys to Kohistan by coach. He was going to Besham, from where we would need another lift to take us to Shangla.

It was nightfall by the time we reached Besham as many roads were blocked. We spent the night in a cheap dirty hotel while my cousin tried to arrange a van to take us to Shangla. A man came near my mother and she took her shoe off and hit him once then twice and he ran away. She had hit him so hard that when she looked at the shoe it was broken. I always knew my mother was a strong woman but I looked at her with new respect.

It was not easy to get from Besham to our village and we had to walk twenty-five kilometers carrying all our things. At one point we were stopped by the army, who told us we could go no further and must turn back. 'Our home is in Shangla. Where will we go?' we begged. My grandmother started crying and saying her life had never been so bad. Finally, they let us through. The army and their machine guns were everywhere. Because of the curfew and the checkpoints there was not one other vehicle on the road that didn't belong to the military. We were afraid that the army wouldn't know who we were and would shoot us.

When we reached the village our family was astonished to see us. Everyone believed the Taliban would return to Shangla so they couldn't understand why we hadn't remained in Mardan.

We stayed in my mother's village, Karshat, with my uncle Faiz Mohammad and his family. We had to borrow clothes from our relatives as we hadn't brought much. I was happy to be with my cousin Sumbul, who is a year older than me. Once we were settled I started going to school with her. I was in Year 6 but started in Year 7 to be with Sumbul. There were only three girls in that year as most of the village girls of that age do not go to school, so we were taught with boys as they didn't have enough room or staff to teach just three girls separately. I was different to the other girls as I didn't cover my face and I used to talk to every teacher and ask questions. But I tried to be obedient and polite, always saying, 'Yes, sir.'

It took over half an hour to walk to school, and because I am bad at getting up in the morning the second day we were late. I was shocked when the teacher hit my hand with a stick to punish me, but then decided that at least it meant they were accepting me and not treating me differently. My uncle even gave me pocket money to buy snacks at school – they sold cucumber and watermelon not sweets and crisps like in Mingora.

One day at school there was a parents' day and prize-giving ceremony, and all the boys were encouraged to make speeches. Some of the girls also took part, but not in public. Instead we spoke into a microphone in our classrooms and our voices were then projected into the main hall. But I was used to speaking in public so I came out and in front of all the boys I recited one *naat*, a poem in which I praised the Prophet. Then I asked the teacher if I could read some more poetry. I read a poem about working hard to achieve your heart's desires. 'A diamond must be cut many times before it yields even a tiny jewel,' I said. After that I spoke of my namesake, Malalai of Maiwand, who had strength and power equal to hundreds and thousands of brave men because her

few lines of poetry changed everything so the British were defeated.

People in the audience seemed surprised and I wondered whether they thought I was showing off or whether they were asking themselves why I wasn't wearing a veil.

It was nice being with my cousins but I missed my books. I kept thinking of my school bag at home with copies of *Oliver Twist* and *Romeo and Juliet* waiting to be read and the *Ugly Betty* DVDs on the shelf. But now we were living our own drama. We had been so happy, then something very bad had come into our lives and we were now waiting for our happy ending. When I complained about my books my brothers whined about their chickens.

We'd heard on the radio that the army had started the battle for Mingora. They had parachuted in soldiers and there had been hand-to-hand fighting in the streets. The Taliban were using hotels and government buildings as bunkers. After four days the military took three squares including Green Chowk, where the Taliban used to display the beheaded bodies of their victims. Then they captured the airport and in a week they had taken back the city.

We continued to worry about my father. In Shangla it was hard to find a mobile phone signal. We had to climb onto a huge boulder in a field, and even then we rarely had more than one bar of reception so we hardly ever spoke to him. But after we had been in Shangla for about six weeks, my father said we could travel to Peshawar, where he had been staying in one room with three friends.

It was very emotional to see him again. Then, a complete family once more, we travelled down to Islamabad, where we stayed with the family of Shiza, the lady who had called us from Stanford. While we were there we heard that Ambassador Richard Holbrooke, the American envoy to Pakistan and Afghanistan, was holding a meeting in the Serena Hotel about the conflict, and my father and I managed to get inside.

We almost missed it as I hadn't set the alarm properly so my father was barely speaking to me. Holbrooke was a big gruff man with a red face but people said he had helped bring peace to Bosnia. I sat next to him and he asked me how old I was. 'I am twelve,' I replied, trying to look as tall as possible. 'Respected Ambassador, I request you, please help us girls to get an education,' I said.

He laughed. 'You already have lots of problems and we are doing lots for you,' he replied. 'We have pledged billions of dollars in economic aid; we are working with your government on providing electricity, gas . . . but your country faces a lot of problems.'

I did an interview with a radio station called Power 99. They liked it very much and told us they had a guesthouse in Abbottabad where we could all go. We stayed there for a week and to my joy I heard Moniba was also in Abbottabad, as was one of our teachers and another friend. Moniba and I had not spoken since our fight on the last day before becoming IDPs. We arranged to meet in a park, and I brought her Pepsi and biscuits. 'It was all your fault,' she told me. I agreed. I didn't mind; I just wanted to be friends.

Our week at the guesthouse soon ended and we went to Haripur, where one of my aunts lived. It was our fourth city in two months. I knew we were better off than those who lived in the camps, queuing for food and water for hours under the hot sun, but I missed my valley. It was there I spent my twelfth birthday. Nobody remembered. Even my father forgot, he was so busy hopping about. I was upset and recalled how different my eleventh birthday had been. I had shared a cake with my friends.There were balloons and I had made the same wish I was making on my twelfth birthday, but this timethere was no cake and there were no candles to blow out. Once again I wished for peace in ourvalley.

PART THREE

Three Girls, Three Bullets

سر د په لوړه تيګه کېده   پردي وطن دی په کښي نشته بالختونه

Sir de pa lowara tega kegda
Praday watan de paki nishta balakhtona

O Wayfarer! Rest your head on the stony cobblestone
It is a foreign land – not the city of your kings!

I come from a country which was created at midnight.

When I almost died it was just after midday.

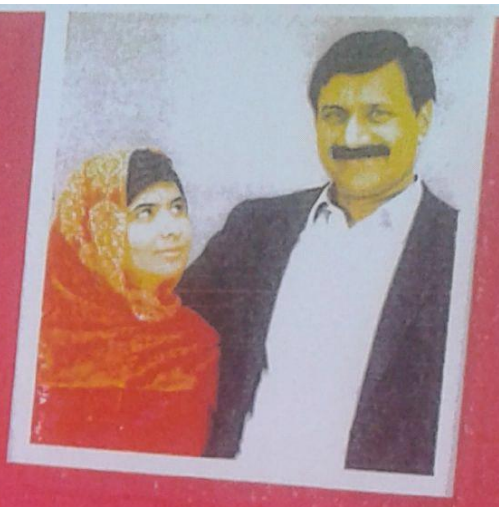

When the Taliban took control of the Swat Valley, one girl spoke out. Malala Yousafzai refused to be silenced and fought for her right to an education.

On Tuesday 9 October 2012, she almost paid the ultimate price. Shot in the head at point-blank range while riding the bus home from school, she was not expected to survive.

Instead, Malala's miraculous recovery has taken her on an extraordinary journey from a remote valley in northern Pakistan to the halls of the United Nations in New York. At sixteen, she has become a global symbol of peaceful protest and the youngest ever nominee for the Nobel Peace Prize.

I Am Malala is the remarkable tale of a family uprooted by global terrorism, of the fight for girls' education, and of Malala's parents' fierce love for their daughter in a society that prizes sons.

It will make you believe in the power of one person's voice to inspire change in the world.

'Who is Malala?' the gunman demanded.

I am Malala and this is my story.

www.orionbooks.co.uk

ISBN 978-0-297-87092-0

9 780297 870920

AllPrints
DH 100-00
www.allprints.ae

Also available in ebook and audio

Cover photos: © Antonio Olmos